Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

# إِصْلَاحُ اللَّفْظِ وَتَزْيِينُهُ فِي العَرَبِيَّةِ

تَسْتَمِدُّ فِكْرَةُ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ مَلَامِحَهَا فِي أَذْهَانِ النَّحْوِيِّينَ العَرَبِ مِن الدَّلَالَةِ اللُّغَوِيَّةِ لُكلٍّ مِنْهُمَا؛ إِذْ يَدُلُّ الإِصْلَاحُ عَلَى خِلَافِ الإِفْسَادِ وَعَلَى إِقَامَةِ الشَّيْءِ بَعْدَ فَسَادِهِ، أَوْ عَلَى سَلَامَتِهِ مِن الْعَيْبِ[1]. كَمَا أَنَّ التَّزْيِينَ يَدُلُّ عَلَى تَحْسِيْنِ الشَّيْءِ بالزِّينَةِ؛ وَهِيَ كلُّ مَا يُتزيَّنُ بِه[2]، وَذَلِكَ أَنَّ مَفْهُومَ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزيِينِهِ، يَصُبُّ فِي نِهَايَةِ النَّظَرِ إِلَيْهِ، فِي مَيدَانِ الظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تَسْلُكُهَا اللُّغَةُ لِغَرَضِ تَحْقِيقِ الانْسِجَامِ اللُّغَوِيِّ فِي نَسِيجِ اللُّغَةِ بِمُسْتَوَيَاتِهَا المخْتَلِفَةِ مِن صَوْتٍ وَصَرْفٍ وَنَحْوٍ وَدَلَالَةٍ، مِمَّا يُسْهِمُ فِي تَحْسِينِ الكَلَامِ وَتَزْيِينِهِ وَإِضْفَاءِ طَابَعِ الجَمَالِ اللُّغَوِيِّ عَلَيْهِ؛ وَمِنْ ثَمَّ تَنْبَغِي الإِشَارَةُ هُنَا إِلَى أَنَّ مَفْهُومَ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ لا يَعْنِي وُجُودَ خَطَأٍ أَوْ عَيْبٍ فِي اللَّفْظِ الَّذِي قَالَ النُّحَاةُ بِوُقُوعِ ظَاهِرَةِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ أَوْ التَّزْيِينِ فِيهِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي إِجْرَاءَ تَغْيِيرٍ مَا عَلَى اللَّفْظِ أَوْ التَّرْكِيبِ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى تَحْسِينِ الكَلَامِ وَتَجْمِيلِهِ وَتَمَاسُكِهِ. وَمِن تِلْكَ الظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تُحَقِّقُ هذا الانسِجَامَ اللُّغَوِيَّ المنْشُودَ فِي الكَلَامِ: الإِعْلَالُ وَالإِبْدَالُ وَالإِدْغَامُ والقَلْبُ المكَانِي والإِعْرَابُ التَّقْدِيرِيّ والإِعْرَاب بِالحُرُوفِ بَدَلًا عَنِ الحَرَكَاتِ وَإِبْدَالُ الحَرَكَاتِ الإِعْرَابِيَّةِ كَمَا فِي المَمْنُوعِ مِن الصَّرْفِ، وَبَعْضُ ظَوَاهِرِ التَّوَافُقِ الحَرَكِيِّ عَلَى المسْتَوَى النَّحْوِيِّ[3]. وَمِنْ ثَمَّ تَنْبَغِي الإِشَارَةُ هُنَا إِلَى أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ بِاللَّفْظِ عِنْدَ اسْتِعْمَالِهِم مُصْطَلَحَ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ: الكَلِمَةَ المفْرَدَةَ، وَإِنَّمَا مُرَادُهُم، هُنَا، هُوَ الكَلَامُ المَلْفُوظُ سَوَاءٌ أَكَانَ كَلِمَةً أَمْ جُمْلَة.

وَقَبْلَ البَدْءِ بِتَتَبُّعِ هَذَا الموضُوعِ فِي التَّفْكِيرِ النَّحْوِيِّ وَعَرْضِ صُوَرِهِ وَمَظَاهِرِهِ، لا بُدَّ مِن الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الفِكْرَةَ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا هَذِهِ المقُولَةُ اللُّغَوِيَّةُ تَتَبَدَّى بِمُصْطَلَحَاتٍ ثَلَاثَةٍ، هِيَ: ***إِصْلَاحُ اللَّفْظِ، وَتَزْيِينُ اللَّفْظِ، وَتَحْسِينُ اللَّفْظِ***. وَهَذِهِ المصْطَلَحَاتُ –كَمَا يَبْدُو– مُتَقَارِبَةٌ مِن حَيثُ الدَّلَالَةُ؛ فَهِيَ تَنْتَهِي إِلَى الأَمْرِ نَفْسِهِ، وَمِنْ ثَمَّ قَدْ تُسْتَعْمَلُ مُقْتَرِنَةً بِبَعْضِهَا؛ فَيُقَالُ: إِصْلَاحُ اللَّفْظِ وَتَحْسِينُهُ، أَوْ تَحْسِينُ اللَّفْظِ وَتَزْيِينُهُ، فَهِيَ تَتَضَافَرُ مُجْتَمِعَةً، فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ، مِن أَجْلِ خَلْقِ صُورَةٍ لِهَذِهِ المقُولَةِ وَبَيَانِ وَظِيفَتِهَا فِي الفِكْرِ النَّحْوِيِّ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ اللُّغَةِ، عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا تَتَّصِفُ بِهِ هَذِهِ المصْطَلَحَاتِ مِن جِهَةٍ أُخْرَى مِن سَعَةٍ فِي الدَّلَالَةِ قَدْ تَنْسَحِبُ عَلَى مَيَادِينَ لُغَوِيَّةٍ وَأَدَبِيَّةٍ أُخْرَى، وَمِنْهَا مَيدَانُ البَلَاغَةِ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ فِيْهِ مُصْطَلَحُ: تَحْسِينُ اللَّفْظِ أَوْ تَحْسِينُ الكَلَامِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو هِلَالٍ العَسْكَرِيّ (٣٩٥ هـ) مِن أَنَّ مَدَارَ البَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ، قَالَ: ((وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَدَارَ البَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ أَنَّ الخُطَبَ الرَّائِعَةَ، وَالأَشْعَارَ الرَّائِقَةَ مَا عُمِلَتْ لِإِفْهَامِ المعَانِي فَقَط؛ لِأَنَّ الرَّدِيءَ مِنَ الأَلْفَاظِ يَقُومُ مَقَامَ الجَيِّدَةِ مِنْهَا فِي الإِفْهَامِ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ حُسْنُ الكَلَامِ، وَإِحْكَامُ صَنْعَتِهِ، وَرَوْنَقُ أَلْفَاظِهِ، وَجَوْدَةُ مَطَالِعِهِ، وَحُسْنُ مَقَاطِعِهِ، وَبَدِيعُ مَبَادِيْهِ، وَغَرِيبُ مَبَانِيْهِ عَلَى فَضْلِ قَائِلِهِ، وَفَهْمِ مُنْشِئِهِ))[4]. وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِعْمَالُ (تَحْسِين اللَّفْظِ) فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الكِنَايَةِ، قَالَ ابْنُ فَارِس (ت ٣٩٥ هـ) فِي بَابِ الكِنَايَةِ: ((الْكِنَايَةُ لَهَا بَابَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يُكْنَى عَنِ الشَّيْءِ فَيُذْكَرَ بِغَيْرِ اسْمِهِ تَحْسِينًا لِلَّفْظِ أَوْ إِكْرَامًا لِلْمَذْكُورِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾[5]، قَالُوا: إِنَّ الجُلُودَ فِي هَذَا المَوْضِعِ كِنَايَةٌ عَن آرَابِ الإِنْسَانِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[6] إِنَّهُ النِّكَاحُ. كَذَلِكَ: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾[7]، وَالْغَائِطُ: مُطْمَئِنٌّ مِنَ الأَرْضِ. كُلُّ هَذَا تَحْسِينُ اللَّفْظِ ...))[8]. وَمِن ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي كَلَامِ العَلَوِيِّ عَلَى الشَّرَائِطِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى حُسْنِ السَّجعِ؛ فَذَكَرَ أَنَّ مِن هَذِهِ الشَّرَائِطِ مَا يَرْجِعُ إِلَى التَّرْكِيبِ، قَالَ: ((وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا تَصَوَّرْتَ فِي نَفْسِكَ مَعْنًى مِن المعَانِي، فَإِنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصُوغَهُ بِلَفْظٍ مَسْجُوعٍ وَلَمْ يُوَاتِكَ ذَلِكَ، وَلَا سَمَحَتْ قَرِيحَتُكَ بِهِ إِلَّا بِزِيَادَةٍ فِي ذَلِكَ اللَّفْظِ أَوْ نُقْصَانٍ مِنْهُ مِن غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى ذَلِكَ النُّقْصَانِ وَتِلْكَ الزِّيَادَةِ، وَإِنَّمَا تَأْتِي بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ مِن أَجْلِ تَسْوِيَةِ السَّجعِ وَإِظْهَارِ جَوْهَرِهِ لا مِن أَجْلِ المعْنَى، فَمَا هَذَا حَالُهُ هُوَ الَّذِي يُذَمُّ مِن التَّسْجِيعِ وَيَقْبُحُ،

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

لِمَا فِيْهِ مِن إِصْلَاحِ اللَّفْظِ دُوْنَ المعْنَى، وَلِمَا فِيْهِ مِن التَّكَلُّفِ وَالتَّعَسُّفِ المسْتَغْنَى عَنْهُ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ مِن غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَإِنَّهُ يَأْتِي فِي غَايَةِ الحُسْنِ))[٩]. كَمَا ذَكَرَ العَلَوِيُّ أَنَّ عِلْمَ البَدِيْعِ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ يَكُوْن الضَّرْبُ الثَّالِثُ مِنْهَا بِمَعْزِلٍ عَن الفَصَاحَةِ اللَّفْظِيَّةِ وَالفَصَاحَةِ المعْنَوِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ يَقُومُ بِوَظِيفَةِ تَحْسِينِ الكَلَامِ وَتَزْيِينِهِ نَحْو الكَمَالِ وَحُسْنِ البَيَانِ، وَقَدْ جَعَلَ مِن صُوَرِهِ التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ فِي عَنَاصِرِ الجُمْلَةِ لِأَغْرَاضٍ بَلَاغِيَّةٍ لِتَحْسِينِ الكَلَامِ وَتَزْيِينِهِ؛ قَالَ عَنْ هَذَا الضَّرب مِنْ عِلْمِ البَدِيْعِ: ((الضَّرْبُ الثَّالِثُ مَا يَكُونُ بِمَعزِلٍ عَن الفَصَاحَةِ اللَّفْظِيَّةِ وَالفَصَاحَةِ المعْنَوِيَّةِ عَلَى الخُصُوصِ، وَلَكِنَّهُ يُنَزَّلُ مَنْزِلَةَ التَّتِمَةِ وَالتَّكْمِلَةِ لَهُمَا، وَيَكُونُ تَحْسِينًا لَهُمَا وَتَزْيِينًا لِمَوَاقِعِهُمَا، وَهَذَا نَحْوَ الكَمَالِ، وَالإِيْضَاحِ، وَحُسْنِ البَيَانِ، وَنَحْو التَّتْمِيمِ، وَالاسْتِيعَابِ، وَالتَّذْيِيلِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِن الأَوْصَافِ الَّتِي لا تَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهَا، وَإِنَّمَا يَكُونُ حُصُولُهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِن مُرَاعَاةِ الإِكْمَالِ وَتَحْسِينِ الهَيْئَةِ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ فِي الأَصْنَافِ السَّابِقَةِ، وَنَظِيرُهُ مِن عِلْمِ الإِعْرَابِ قَوْلُكَ: ضَرَبَ زَيْدًا عَمْرٌو، بِتَقْدِيمِ المفْعُولِ عَلَى الفَاعِلِ، فَإِنَّ مَا هَذَا حَالُهُ قَدْ أَفَادَ كَلَامًا مُطَابِقًا لِقَوَانِيْنِ العَرَبِيَّةِ، خَلَا أَنَّهُ لَمْ يُفِدْ مِنْهُ إِلَّا تَحْسِينَ الكَلَامِ وَتَزْيِينَهُ، حَيْثُ لَمْ يَكُنِ الفَاعِلُ لَاصِقًا بِالفِعْلِ، وَالمفْعُولُ مُتَأَخِّرًا عَنِ الفَاعِلِ، فَهَذَا يَجْرِي مَجْرَى التَّحْسِينِ وَالإِكْمَالِ للجُمْلَةِ لا غَيْرِ))[١٠]. وَمِنْ ذَلِكَ وَصْفُ السَّمِينِ الحَلَبِيِّ (ت ٧٥٦هـ) اسْتِعْمَالَ القُرْآنِ الكَرِيمِ الوَصْفَ المشْتَقَّ (المغْضُوبِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، بِأَنَّه جِيْءَ بِهِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ تَحْسِينًا لِلَّفْظِ، قَالَ: ((فَإِنْ قِيْلَ: لِمَ أَتَى بِصِلَةِ الَّذِينَ فِعْلاً مَاضِياً؟ قِيْلَ: لِيَدُلَّ ذَلِكَ عَلَى ثُبُوتِ إِنْعَامِ اللهِ عَلَيْهِم وَتَحْقِيقِهِ لَهُمْ، وَأَتَى بِصِلَةِ أل اسْمًا لِيَشْمَلَ سَائِرَ الأَزْمَانِ، وَجَاءَ بِهِ مَبْنِيًا لِلْمَفْعُولِ تَحْسِيناً لِلَّفْظِ، لِأَنَّ مَنْ طُلِبَتْ مِنْهُ الهِدَايَةُ وَنُسِبَ الإِنْعَامُ إِلَيْهِ لَا يُنَاسِبُهُ نِسْبَةُ الغَضَبِ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ مَقَامُ تَلَطُّفٍ وَتَرَفُّقٍ لِطَلَبِ الإِحْسَانِ فَلَا يَحْسُنُ مواجَهَتُهُ بِصِفَةِ الانْتِقَامِ))[١١]. كَمَا وَرَدَ اسْتِعْمَالُ تَحْسِينِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ عَلَى نَحْوٍ غَيْرِ اصْطِلَاحِيٍّ، أَيْ بِالمعْنَى اللُّغَوِيِّ المتَعَارَفِ عَلَيْهِ، عِنْدَ مُحَمَّد عَلِيّ الصّديقيِّ الشَّافِعِيِّ (ت ١٠٥٧هـ) ، فِي سِيَاقٍ آخَرَ، وَذَلِكَ فِي شَرْحِ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ قِرَاءَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[١٢] بِتَرْخِيمِ مَالِك، أَيْ: يَا مَالِ[١٣]، إِذْ قَالَ: ((أَنْكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ قِرَاءَةَ يَا مَالِ بِحَذْفِ الكَافِ تَرْخِيماً وَقَالَ: مَا أَشْغَلَ أَهْلَ النَّارِ عَنِ التَّرْخِيمِ. أَيْ: أَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ لِتَحْسِينِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَنْشَأُ عَنِ الفَرَاغِ وَالسُّرُورِ، وَهُمْ بِخِلَافِهِ، ...، وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّهُ تَرْخِيمٌ مِن شِدَّةِ العَذَابِ وَإِنَّهَا مَنَعَتْهُمْ مِنْ إِتْمَامِ حُرُوفِ الكَلِمَةِ))[١٤].

وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ، هُنَا، أَنَّ بَعْضَ النَّحْوِيِّينَ يَرْبِطُ بَيْنَ الزِّيَادَةِ النَّحْوِيَّةِ مِن جِهَةٍ وَتَحْسِينِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ مِن جِهَةٍ أُخرَى، فَكَأَنَّهُ عِندَمَا يَقُولُ بِالزِّيَادَةِ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنَّ الغَرَضَ مِن هَذِهِ الزِّيَادَةِ هُوَ تَحسِينُ الكَلَامِ وَتَزْيِينُهُ، وَيَبدُو هَذَا وَاضِحًا فِي كَلَامِ الشَّيْخِ خَالِد الأَزهَرِيّ (ت٩٠٥هـ) فِي تَوجِيهِ قَولِ النَّحوِيِّينَ بِالزِّيَادَةِ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[١٥]، إِذْ قَالَ: ((وَكَثِيرٌ مِن النُّحَاةِ الْمُتَقَدِّمِينَ يُسَمُّونَ الزَّائِدَ صِلَةً لِكَونِهِ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى نَيلِ غَرَضٍ صَحِيحٍ كَتَحْسِينِ الْكَلَامِ وَتَزيِينِهِ وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيه مُؤَكِّدًا لِأَنَّهُ يُعْطِي الْكَلَامَ مَعْنَى التَّأْكِيدِ وَالتَّقْوِيَةِ))[١٦]. وَمِنْ صُوَرِ الرَّبْطِ بَيْنَ القَوْلِ بِالزِّيَادَةِ وَتَحْسِينِ الكَلَامِ وَتَزْيِينِهِ مَا وَرَدَ فِي تَوْجِيْهِ الوَاوِ فِي قَولِ الشَّاعِرِ[١٧]:

وبَـــلْدَةٍ لَـــيْسَ بِهَـــا أَنِـــيسُ  إِلَّا اليَعَـــافِيرُ وإِلَّا العِـــيسُ

إِذْ ذَكَرَ أَبُو البَقَاءِ الكَفَوِيُّ (ت١٠٩٤هـ) أَنَّ أَهْلَ اللُّغَةِ وَجَّهُوا هَذِهِ الوَاوَ بِأَقْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ مِنْهَا أَنَّهَا لِتَحْسِينِ الكَلَامِ وَتَزْيِينِهِ، قَالَ: ((وَمَا يَذْكُرُهُ أَهْلُ اللُّغَةِ مِنْ أَنَّ الْوَاوَ قَدْ تَكُونُ لِلابْتِدَاءِ وَالاسْتِئْنَافِ فَمُرَادُهُم أَنْ يُبْتَدَأَ الْكَلَامُ بَعْدَ تَقَدُّمِ جُمْلَةٍ مُفِيدَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ تُشَارِكُ الأُوْلَى. وَأَمَّا وُقُوعُهَا فِي الِابْتِدَاءِ مِن غَيْرِ أَنْ يتَقَدَّمَ عَلَيْهَا شَيْءٌ فَعَلَى الابْتِدَائِيَّةِ الْمُجَرَّدَةِ أَوْ لِتَحْسِينِ

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

الْكَلَامِ وَتَزْيِينِهِ أَوْ لِلزِّيَادَةِ الْمُطْلَقَةِ))[١٨]. فَقَدْ أَوْرَدَ أَنَّ هَذِهِ الوَاوَ قَدْ تَكُونُ ابْتِدَائِيَّةً، وَقَدْ تَكُونُ زَائِدَةً زِيَادَةً مُطْلَقَةً لا لِلتَّوْكِيدِ، وَيَكُونُ الغَرَضُ مِنْ زِيَادَتِهَا هُنَا هُوَ تَحْسِينَ الكَلَامِ وَتَزْيِينَهُ. وَيَتَجَلَّى هَذَا الفَهْمُ لِلعَلَاقَةِ بَيْنَ الزِّيَادَةِ وَالتَّزْيِينِ وَالتَّحْسِينِ وَالكَمَالِ عِنْدَ الكَفَوِيِّ وَاضِحًا فِي كَلَامِهِ عَلَى فَوَائِدِ الزِّيَادَةِ أَوْ وَظَائِفِهَا فِي العَرَبِيَّةِ، قَالَ: ((وَالزِّيَادَةُ كَمَا تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الزَّائِدِ الْمُسْتَدْرَكِ وَهُوَ الْمَعْنَى الْمَشْهُورُ كَذَلِكَ تُسْتَعْمَلُ فِيمَا بِهِ [يَقُومُ] الشَّيْءُ وَيَكْمُلُ بِهِ فِي عَيْنِ الْكَمَالِ، وَالزَّائِدُ فِي كَلَامِهِم لَا بُدَّ أَنْ يُفِيدَ فَائِدَةً مَعْنَوِيَّةً أَوْ لَفْظِيَّةً وَإِلَّا كَانَ عَبَثًا وَلَغْوًا؛ فَالمَعْنَوِيَّةُ تَأْكِيدٌ لِلْمَعْنَى كَمَا فِي (مِن) الاسْتِغْرَاقِيَّةِ، وَالْبَاءِ فِي خَبَرِ (مَا) وَ (لَيْسَ)، وَاللَّفْظِيَّةُ تَزْيِينُ اللَّفْظِ وَكَونُهُ بِزِيَادَتِهَا أَفْصَحَ، أَوْ مُهَيَّأً لِاسْتِقَامَةِ وَزْنٍ أَوْ لِحُسْنِ سَجْعٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَقَدْ تَجْتَمِعُ الفَائِدَتَانِ فِي حَرْفٍ، وَقَدْ تَنْفَرِدُ إِحْدَاهُمَا عَنِ الْأُخْرَى))[١٩].

وَتَظْهَرُ، عِنْدَ أَبِي مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِي (ت٤٢٩هـ) وَقْفَةٌ لُغَوِيَّةٌ مُهِمَّةٌ يَقْتَرِبُ فِيهَا، عَلَى نَحوٍ كَبِيرٍ، مِن فِكْرَةِ إِصلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزيينه، وَذَلكَ فِي الفَصْلِ السَّادِسِ وَالعِشْرِينَ مِن أَسرارِ العَرَبِيّةِ فِي مَجَارِي كَلَامِ العَرَبِ وَسننِهَا، الَّذِي جَعَلَه بِعُنْوَانِ (حِفْظِ التَّوَازُن)، قَالَ فِيه: ((العَرَبُ تَزِيدُ وَتَحْذِفُ حِفْظًا لِلتَّوَازُنِ وَإِيْثَاراً لَه، أَمَّا الزِّيَادَةُ فَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[٢٠]، وَكَمَا قَالَ: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[٢١]. وأمَّا الحَذْفُ، فَكَمَا قَالَ جَلَّ اسْمُهُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[٢٢]، وَقَالَ: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[٢٣] ))[٢٤]. فَهُو يَرَى أَنَّ مِن سنَنِ العَرَبِ فِي كَلامِهَا أن تَزِيدَ فِي اللَّفْظِ أو تَحْذفَ منه لِغَرَضِ التَّوَازُنِ فِي الكَلَامِ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِن أَنَّه حَصَرَ الغَايَةَ مِن مِثْلِ هَذِهِ التَّغْيِيرَاتِ: الحَذْف أو الزِّيَادَة، فِي تَحْقِيقِ التَّوَازُنِ الموسِيقِيِّ فِي الفَوَاصِلِ، إِلَّا أَنَّ فِي هَذَا إِشَارَةً، مِن جِهَةٍ أُخْرَى، إِلَى فِكْرَةِ التَّغْيِيرِ فِي اللَّفْظِ وَإِصْلَاحِه أَوْ تَزْيِينِهِ. وَمِمَّا يؤُكِّدُ هَذَا أنَّ الرَّاغِبَ الأَصْفَهَانِيَّ فَهِمَ أَنَّ المرَادَ مِن حِفْظِ التَّوَازُنِ، هُنَا، هُو إِصْلاحُ اللَّفْظِ، وَمِنْ ثَمَّ فَسَّرَ هَذِهِ الشَّوَاهِدَ نَفْسَهَا عَلَى أَسَاسِهِ؛ فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ الأَلِفَ قَدْ تُزَادُ فِي أَوَاخِرِ الكَلِمَاتِ الَّتِي تَقَعُ فَوَاصِلَ فَتَجْرِي مَجْرَى أَوَاخِرِ الأَبْيَاتِ وتُعَامَلُ مُعَامَلَتَهَا، نَحْو: الظُّنُونَا وَالسَّبِيلَا، فَقَدْ زِيدَتِ الأَلِفُ فِيهَا، لَيْسَ لِغَرَضِ تَحْقِيقِ مَعْنًى جَدِيدٍ وَإِنَّمَا لِإِصْلَاحِ اللَّفْظِ، قَالَ عَنْ أَحَدِ مَوَاضِعِ زِيَادَةِ الأَلِفِ: ((وَالَّذِي فِي أَوَاخِرِ الآيَاتِ الجَارِيَةِ مَجْرَى أَوَاخِرِ الأَبْيَاتِ، نَحْو: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[٢٥]، ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[٢٦]، لَكِنَّ هَذِهِ الأَلِفَ لا تُثْبِتُ مَعْنًى، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِإِصْلَاحِ اللَّفْظِ))[٢٧].

وَقَدْ دَرَسَ ابْنُ جِنِّي مَوْضُوْعَ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ فِي بَابٍ خَصَّصَهُ لَه: (بَابٌ فِي إِصْلَاحِ اللَّفْظِ)، بَيَّنَ فِيْهِ أَنَّ فَلْسَفَةَ العَرَبِ فِي عِنَايَتِهَا بِالأَلْفَاظِ تَعُودُ إِلَى اهْتِمَامِهَا أَوَّلًا بِمَعَانِي هَذِهِ الأَلْفَاظِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الأَلْفَاظَ إِنَّمَا هِيَ أَوْعِيَةٌ لِلْمَعَانِي وَأَدِلَّةٌ عَلَيْهَا وَمُوْصِلَةٌ إِلَيْهَا، قَالَ: ((اعْلَمْ أَنَّهُ لما كَانَتِ الأَلْفَاظُ لِلْمَعَانِي أَزِمَّةً وَعَلَيْهَا أَدِلَّة وَإِلَيْهَا مُوْصِلَةٌ، وَعَلَى المرَادِ مِنْهَا مُحَصِّلَةٌ عُنِيتِ العَرَبُ بِهَا فَأَوْلَتْهَا صَدْرًا صَالِحًا مِنْ تَثْقِيْفِهَا وَإِصْلَاحِهَا))[٢٨]. وَقَدْ أَكَّدَ هَذِهِ الفِكْرَةَ الَّتِي تُؤَسِّسُ مُنْطَلَقًا لِهَذِهِ المقُولَةِ اللُّغَوِيَّةِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، قَالَ: ((أَنَّ العَرَبَ كَمَا تُعْنَى بِالمعَانِي فَتُحَقِّقُهَا، فَكَذَلِكَ أَيْضًا تُعْنَى بِالأَلْفَاظِ فَتُصْلِحُهَا))[٢٩].

وَقَدْ وَصَفَ ابْنُ جِنِّي بَابَ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ بِأَنَّهُ كَثِيرٌ وَاسِعٌ، قَالَ: ((وَطَرِيقُ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ كَثِيرٌ وَاسِعٌ فَتَفَطَّنْ لَهُ))[٣٠]. وَالمسَائِلُ الَّتِي عَدَّهَا اللُّغَوِيُّونَ وَالنَّحْوِيُّونَ العَرَبُ مِن هَذَا البَابِ تَتَوَزَّعُ عَلَى مُسْتَوَيَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ مِنْهَا مَا هُوَ صَوْتِيٌّ، وَمِنْهَا مَا هُوَ صَرْفِيٌّ، وَمِنْهَا مَا هُوَ نَحْوِيٌّ.

وَمِن أَهَمِّ مَسَائِلِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ فِي المسْتَوَيَيْنِ الصَّوْتِيِّ وَالصَّرْفِيِّ- وَهُمَا مُتَدَاخِلَانِ تَأْثِيرًا- بِنَاءُ الفِعْلِ الماضِي عَلَى السُّكُونِ عِنْدَ إِسْنَادِهِ إِلَى ضَمَائِرِ الرَّفْعِ، طَلَبًا لِلتَّجَانُسِ الصَّوْتِي سَعْيًا إِلَى التَّخْفِيفِ عَلَى اللِّسَانِ عِنْدَ النُّطْقِ بِهِ، كَمَا فِي: كَتَبْتُ، وَكَتَبْتَ، وَكَتَبْتِ، قَالَ ابْنُ جِنِّي: ((وَمِنْ ذَلِكَ تَسْكِينُهُمْ لَامَ الفِعْلِ إِذَا اتَّصَلَ بِهَا عَلَمُ الضَّمِيرِ المرْفُوعِ نَحْو: ضَرَبْتُ وَضَرَبْنَ وَضَرَبْنَا. وَذَلِكَ أَنَّهُم أَجْرَوْا

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

الفَاعِلَ هُنَا مُجْرَى جُزْءٍ مِن الفِعْلِ فَكُرِهَ اجْتِمَاعُ الحَرَكَاتِ الَّذِي لا يُوجَدُ فِي الوَاحِدِ. فَأَسْكَنُوا اللَّامَ، إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ فَقَالُوا: ضَرَبْتُ وَدَخَلْنَا وَخَرَجْتُمْ. نَعَم وَقَدْ كَانَ يَجْتَمِعُ فِيْهِ أَيْضًا خَمْسُ مُتَحَرِّكَاتٍ، نَحْو: خَرَجْتُمَا فَالإِسْكَانُ إِذًا أَشَدُّ وُجُوبًا))[٣١]. وَيَبْدُو أَنَّ ابْنَ جِنِّي اسْتَنَدَ فِي تَعْلِيْلِهِ بِنَاءَ الفِعْلِ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الحَالَةِ، عَلَى السُّكُونِ، وَمِن ثَمَّ جَعْلِهِ إِيَّاهُ مِنْ بَابِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ، إِلَى الحُكْمِ اللُّغَوِيِّ العَامِّ الَّذِي قَرَّرَهُ سِيْبَوَيهِ، وَهُوَ أَنَّه: ((لَيْسَ حَرْفٌ فِي الكَلَامِ تَتَوَالَى فِيْهِ أَرْبَعُ مُتَحَرِّكَاتٍ))[٣٢]. وَقَدْ طَبَّقَهُ الرَّضِيُّ الاسْتِرَابَاذِي عَلَى الفِعْلِ عِنْدَ إِسْنَادِهِ إِلَى ضَمَائِرِ الرَّفْعِ، قَالَ: ((لَا يَتَوَالَى فِي كَلَامِهِم أَرْبَعُ مُتَحَرِّكَاتٍ فِي كَلِمَةٍ، أَلَا تَرَى إِلَى تَسْكِينِ لَامِ نَحْوِ: ضَرَبْتُ لما كَانَ التَّاءُ كَجُزْءِ الكَلِمَةِ))[٣٣]. وَكَأَنَّ العَرَبَ يَنْظُرُونَ إِلَى الفِعْلِ، عِنْدَ اتِّصَالِهِ بِالضَّمَائِرِ، عَلَى أَنَّهُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ؛ مِمَّا يَقْتَضِي أَنْ تَنْطَبِقَ عَلَيْهِ تِلْكَ القَاعِدَةُ العَامَّةُ: أَعْنِي: عَدَمَ تَوَالِي أَرْبَعِ حَرَكَاتٍ.

وَمِن مَسَائِلِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ، مِمَّا دَرَسَهُ المُحْدَثُونَ تَحْتَ عُنْوَانِ: الانْسِجَامِ الصَّوْتِيِّ، مِمَّا أَشَرْنَا إِلَيْهِ قَبْلًا، بَابُ الإِدغَامِ وَبَابُ الإِبْدَالِ، الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ ابْنُ جِنِّي بِاسْمِ بَابِ التَّقْرِيبِ، قَالَ: ((وَمِن ذَلِكَ[أَيْ: مِن مَسَائِلِ بَابِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ] بَابُ الادّغَامِ فِي المتَقَارِبِ نَحْو: ود فِي وتد، وَمِنَ النَّاسِ "مَيَّقُول" فِي: "مَنْ يَقُول "، وَمِنْهُ جَمِيعُ بَابِ التَّقْرِيبِ؛ نَحْو: اصْطَبَرَ، وَازْدَانَ، وَجَمَع بَابِ المضَارَعَةِ، نَحْو: مَصْدَر وبابه))[٣٤]. وَفِي اسْتِعْمَالِهِ التَّقْرِيبَ هُنَا دَلَالَةٌ مِن جِهَةٍ مَا عَلَى أَنَّ الغَرَضَ مِن هَذَا التَّغْيِيرِ وَأَمْثَالِهِ هُوَ تَحْقِيقُ التَّقَارُبِ الصَّوْتِي مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى التَّجَانُسِ وَالائْتِلَافِ اللَّفْظِيِّ وَالتَّخْفِيفِ عَلَى اللِّسَانِ عِنْدَ النُّطْقِ. وَقَدْ أَشَارَ المطَرِّزِيُّ (ت ٦١٠هـ) إِلَى أَنَّ الغَايَةَ مِنْ مِثْلِ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الإِبْدَالِ هِيَ تَحْسِينُ اللَّفْظِ، قَالَ: (((وَالزَّايُ) تُبْدَلُ مِنْ الصَّادِ إِذَا وَقَعَتْ قَبْلَ الدَّالِ سَاكِنَةً تَقُولُ: يَزْدُرُ فِي يَصْدُرُ، وَلَمْ يُجَرَّمْ مَنْ فُزِدَ لَهُ فِي فُصِدَ مِنْ الْفَصِيدِ، وَلَمْ يَعُدَّ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ الصَّادَ، وَالزَّايَ فِي حُرُوفِ الْبَدَلِ، وَقَالَ: إِنَّمَا أُبْدِلَتَا فِي هَذِهِ الْكَلِمِ تَحْسِينًا لِلَّفْظِ))[٣٥].

وَمِنْ صُوَرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ أَنَّ العَرَبَ امْتَنَعَتْ عَن الإِلْحَاقِ بِالأَلِفِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي آخِرِ الكَلِمَةِ نَحْو: أَرْطَى وَمِعْزَى، وَلَم يُوقِعُوهَا فِي حَشْوِ الكَلِمَةِ، وَذَلِكَ مِنْ بَابِ الاحْتِيَاطِ لِلَّفْظِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَقْوَى لِلكَلِمَةِ وَأَدَلَّ عَلَى إِعْرَابِهَا وَانْصِرَافِهَا، وَلِيَكُونَ تَنْوِينُهَا دَلِيْلًا عَلَى الأَصْلِ الَّذِي أُلْحِقَتْ بِهِ، قَالَ ابْنُ جِنِّي فِي بَابِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ: ((وَمِن ذَلِكَ امْتِنَاعُهُمْ مِن الإِلْحَاقِ بِالأَلِفِ إِلَّا أَنْ تَقَعَ آخِرًا نَحْو أَرْطَى، وَمِعْزَى، وَحَبَنْطَى، وَسَرَنْدَى، وَزِبَعْرَى، وَصَلَخْدَى، وَذَلِكَ أَنَّهَا إِذَا وَقَعَتْ طَرَفًا وَقَعَتْ مَوْقِعَ حَرْفٍ مُتَحَرِّكٍ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى قُوَّتِهَا عِنْدَهُم وَإِذَا وَقَعَتْ حَشْوًا وَقَعَتْ مَوْقِعَ السَّاكِنِ فَضَعُفَتْ لِذَلِكَ فَلَمْ تَقْوَ فَيُعْلَمَ بِذَلِكَ إِلْحَاقُهَا بِمَا هِيَ عَلَى سَمْتِ مُتَحَرِّكِهِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ أَلْحَقْتَ بِهَا ثَانِيةً فَقُلْتَ: خَاتم مُلْحَقٌ بِجَعْفَر لَكَانَتْ مُقَابَلَةً لِعَيْنِهِ وَهِيَ سَاكِنَةٌ فَاحْتَاطُوا لِلَّفْظِ بِأَنْ قَابَلُوا بِالأَلِفِ فِيْهِ الحَرْفَ المتَحَرِّكَ لِيَكُونَ أَقْوَى لها وَأَدَلَّ عَلَى شِدَّةِ تَمَكُّنِهَا وَلِيُعْلَمَ بِتَنْوِيْنِهَا أَيْضًا وَكَوْنِ مَا هِيَ فيه عَلَى "وَزْنِ أَصْلٍ مِن الأُصُولِ لَه" أَنَّهَا لِلإِلْحَاقِ بِهِ. وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ أَلِفُ قَبَعْثَرَى، وضَبَغْطَرَى؛ لِأَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ طَرَفًا وَمُنَوَّنَةً فَإِنَّ المثَالَ الَّذِي فِيْهِ "لا" مصعد لِلأُصُولِ إِلَيْهِ فَيُلْحق هَذَا بِهِ لِأَنَّهُ لا أَصْلَ لَهَا سُدَاسِيًا، فَإِنَّمَا أَلِفُ قبعثرى قِسْمٌ مِن الأَلِفَاتِ الزَّوَائِدِ فِي أَوَاخِرِ الكَلِمِ ثَالِث لا لِلتَّأْنِيثِ وَلا لِلإِلْحَاقِ. فَاعْرِفْ ذَلِكَ))[٣٦].

وَقَدْ ذَكَرَ عُلَمَاءُ العَرَبِيَّةِ أَنَّ الأَلِفَ لا تَلْحَقُ إِلَّا آخِرًا، فَلَا تَقَعُ مُلْحَقَةً فِي أَوَّلِ الكَلِمَةِ أَوْ فِي حَشْوِهَا، قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ (ت٣١٦هـ): ((وَلَا تَكُونُ الأَلِفُ مُلْحَقَةً أَبَدًا إلا أَنْ تكون آخرًا نحو: عَلقَى، وَتَعْرِفُ أَنَّهَا مُلْحَقَةٌ إِذَا رَأَيْتَهَا مُنَوَّنَةً))[٣٧]. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت ٥٣٨هـ): ((وَلا تَقَعُ للإلحاقِ إِلَّا آخِراً فِي نَحْو مِعْزَى))[٣٨]. وَقَالَ ابنُ الحَاجِبِ (ت٦٤٦هـ) مُبَيِنًا السَّبَبَ فِي هَذَا الحُكْمِ اللُّغَوِيِّ: ((وَلَا تقعُ الْألفُ للإلحاقِ فِي الِاسْمِ حَشْوًا لما يَلْزَمُ مِن تَحْرِيكِهَا))[٣٩]. وَقَد شَرَحَ رُكْنُ الدِّينِ الاستراباذيّ (ت ٧١٥هـ)

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

هَذَا الكَلامَ، قَالَ: ((اِعْلَمْ أَنَّ الأَلِفَ لا تَقَعُ للإلحاقِ في أَوَّلِ الكَلمةِ وَهُوَ ظَاهِرٌ، وَلا في وَسطِهَا؛ لأَنَّهُ لَو وَقَعَ حَشْوًا لِلإلحاقِ لَزِم تَحْرِيكُها؛ لأَنَّها إِنْ كانتْ ثَانِيةً وَجَبَ تَحْرِيكُها في التَّصْغِير، وَإِنْ كَانَتْ ثَالِثةً وَجَب تَحْرِيكهَا بَعدَ ياءِ التَّصْغِيرِ، وَإِنْ كَانَت رَابِعَةً كَانت آخِرًا في التَّصْغِيرِ وَالجَمْعِ؛ لأَنَّها إِذَا كَانتْ رَابِعَةً حَشْوًا، وَهِيَ للإلحاقِ، فَلا تَكُونُ إِلَّا للإلحاقِ بِالخُماسِي، فَيَجبُ حَذْف الآخر لِيُمكنَ جَمْعُه وَتَصْغِيرُه كَمَا مَرَّ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لم يَقَعْ الأَلِفُ لِلإلحاقِ إِلّا آخِرًا لإِمْكَانِ بَقَائِهَا غَيْرَ مُحَرَّكَة، هَذَا تَقْرِيرُ ما ذَكَرَ المصَنِّفُ))[٤٠].

وَمِمَّا يَدخُلُ في مَسائِلِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَحْسِينِهِ أَنَّ العَرَبَ خَصَّتِ الأَلِفَ بِالزِّيَادَةِ في آخِرِ بَنَاتِ الخَمسةِ لِخِفَّتِهَا دُونَ أُخْتَيْهَا: الواو والياء، قَالَ ابْنُ جِنِّي: ((وَمِن ذَلِكَ أَنَّهُم لما أَجْمَعُوا الزِّيَادَةَ في آخِرِ بَنَاتِ الخَمسةِ –كَمَا زَادُوا في آخِرِ بَنَاتِ الأَرْبَعَةِ– خَصُّوا بِالزِّيَادَةِ فيه الألف استخفافًا لَهَا وَرَغْبَةً فيها هُنَاكَ دُونَ أُخْتَيهَا: الياء والواو. وَذَلِكَ أَنَّ بَنَاتِ الخَمسةِ لِطُولِهَا لا يَنْتَهِي إِلَى آخِرِهَا إِلَّا وَقَد ملت، فَلَمَّا تَحَمَّلُوا الزِّيَادَةَ في آخِرِهَا طَلَبُوا أَخَفَّ الثَّلاثِ –وهي الألفُ– فَخَصُّوهَا بها، وَجَعَلُوا الوَاوَ والياءَ حَشْوًا في نَحْو عَضْرَفُوط وَجَعْفَلِيق لأَنَّهُم لَو جَاءوا بهما طَرَفًا وَسُدَاسِيينِ مَعَ ثِقْلِهِمَا لَظَهَرت الكُلْفَةُ في تَجَشُّمِهِمَا وَكَدَّت في احْتِمَالِ النُّطْقِ بهما كُلَّ ذلك ***لإصلاح اللفظ***))[٤١].

وَمِن مَظَاهِرِ إِصْلاحِ اللَّفْظِ وَتَزيينِهِ حَذْفُ تَاءِ التَّأْنِيثِ مِن الأَسْمَاءِ المؤَنَّثَةِ عِنْدَ جَمْعِهَا جَمْعَ مُؤَنَّثٍ سَالما، كَمَا في جَمْعِ تَمْرَة عَلَى تمرات، كَرَاهَةَ اجْتِمَاعِ عَلامَتَي تَأْنِيثٍ: (تاءين) في لَفْظٍ وَاحد، قَالَ ابْنُ جِنِّي: ((إِذَا جَمَعْتَ الِاسْمَ الْمُؤَنَّثَ زِدْتَ فِي آخِرِهِ أَلفًا وَتَاءً، ...، فَإِن كَانَ فِي الِاسْمِ الْمُؤَنَّثِ هَاء التَّأْنِيثِ حَذَفْتَهَا فِي الْجَمْعِ تَقولُ فِي جَمْعِ مُسلِمةٌ مُسلِماتٌ وَفِي جَمْعِ قَائِمةٌ قائماتٌ وَكَانَ الأَصْل مُسْلِمات وَقَائِمات فَحُذِفَتِ التَّاءُ الأُوْلَى لِئَلَّا تَجْتَمِعَ فِي الِاسْمِ الْوَاحِدِ عَلَامَتَا تَأْنِيث))[٤٢]. وَقد زَادَ أَبُو البَرَكَاتِ الأَنْبَارِيّ (ت٥٧٧هـ) في إِيضاحِ هذا التَّعْلِيل، إِذْ قَالَ: ((أَلَا تَرَى أَنَّهُم لا يَجمعُونَ بَينَ عَلَامَتي تَأْنيثٍ في كَلِمةٍ وَاحدَةٍ نَحْو مُسلمات وَصَالحات، وَإِنْ كَانَ الأصلُ فيه مُسلمتات وَصَالحتات؛ لأَنَّ كُلَّ واحدةٍ من التَّاءينِ تَدُلُّ عَلَى ما تَدُلُّ عليه الأُخرى من التَّأْنِيث، وَتَقوم مَقَامَهَا، فَلَم يَجْمَعُوا بَيْنَهما؛ فَكَذَلِكَ هَهنا))[٤٣]. وَقَد عَدَّ ابْنُ جِنِّي هذا المسلَكَ اللُّغَوِيَّ الَّذي تَتَّبِعُه العَرَبِيَّةُ، هنا، من باب إِصْلَاحِ اللَّفْظِ، قَالَ: ((وَمِن ذَلِكَ قَوْلُهم في جَمْعِ تَمْرَة وَبُسْرَة وَنَحو ذَلِكَ: تَمْرات وَبُسْرات، فَكَرِهُوا إِقْرَارَ التَّاء تَنَاكرًا لاجتماعِ عَلَامَتي تَأْنيثٍ في لَفْظِ اسمٍ وَاحِدٍ، فَحُذِفت وَهِيَ في النِّيَّةِ –مُرَادَة البتَّة– لا لِشَيْءٍ إِلَّا ***لإِصْلَاحِ اللَّفْظِ***؛ لأَنَّها في المعنى مُقَدَّرَة مَنْوِيَّةٌ لا غَيْرَ، أَلَا تراك إِذَا قُلْتَ: (تمرات) لم يَعْتَرِضْ شَكٌّ في أَنَّ الوَاحِدَةَ منها تَمْرَة، وَهَذا وَاضِحٌ. وَالعِنَايَةُ، إِذًا، في الحَذْفِ إِنَّما هِيَ بِإِصْلَاحِ اللَّفْظِ؛ إِذ المعنى نَاطِقٌ بِالتَّاءِ مُقْتَضٍ لَهَا حَاكِمٌ بِمَوضِعِهَا))[٤٤].

وَمِن مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ (أَل) الدَّاخِلَةُ عَلَى الأَسْمَاءِ الموْصُولَةِ؛ فَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ إِلَى أَنَّ (أَل) فِيْهَا لا تُفِيدُ التَّعْرِيفَ لأَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاءَ تَكْتَسِبُ التَّعرِيفَ مِن صِلَتِهَا، وَمن ثَمَّ فَإِنَّ وَظِيفَةَ (أل) الَّتِي دَخَلَتْ عَلَيْهَا هِيَ إِصْلاحُ اللَّفْظِ وَلَيْسَ التَّعْرِيف. قَالَ ابْنُ يَعِيش: ((إِذَا ثَبَتَ أَنَّ الألف واللام لا تُفِيدَانِ هُنَا –في بَابِ اسْمِ الموصُولِ– التَّعْرِيفَ كَانَ زِيَادَتُهُمَا لِضَرْبٍ مِن ***إِصْلَاحِ اللَّفْظِ***، وَذَلِكَ أَنَّ (الَّذِي) وَأَخَوَاتِهِ مِمَّا فِيْهِ لامٌ إِنَّما دَخَلَ تَوَصُّلًا إِلَى وَصْفِ المعَارِفِ بِالجُمَلِ، وَذَلِكَ أَنَّ الجُمَلَ نَكِرَاتٌ، أَلَا تَرَى أَنَّهَا تَجْرِي أَوْصَافًا عَلَى النَّكِرَاتِ، نَحْو قَوْلِكَ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَبُوهُ زَيْدٌ، وَنَظَرْتُ إِلَى غُلَامٍ قَامَ أَخُوهُ، وَصِفَةُ النَّكِرَةِ نَكِرَةٌ، ...، فَلَمَّا كَانَتْ تَجْرِي أَوْصَافًا عَلَى النَّكِرَاتِ لِتَنَكُّرِهَا أَرَادُوا أَنْ تَكُونَ في المعَارِفِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَسُغْ أَنْ تَقُولَ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ أَخُوهُ كَرِيمٌ، وَأَنْتَ تُرِيدُ النَّعْتَ لِزَيْدٍ؛ لأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ الجُمَلَ نَكِرَاتٌ، وَالنَّكِرَةُ لا تَكُونُ وَصْفًا لِلمَعْرِفَةِ. وَلَمْ يُمْكِنْ إِدْخَالُ لامِ التَّعْرِيفِ عَلَى

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

الجُمْلَةِ؛ لأَنَّ هَذِهِ اللَّامَ مِن خَوَاصِّ الأَسْمَاءِ، وَالجُمْلَةُ لا تَخْتَصُّ بِالأَسْمَاءِ، ...، إِلَّا أَنَّ لَفْظَ (الَّذِي) قَبْلَ دُخُولِ الأَلِفِ وَاللَّامِ لم يَكُنْ عَلَى لَفْظِ أَوْصَافِ المَعَارِفِ فَزَادُوا فِي أَوَّلِهَا الأَلِفَ وَاللَّامَ لِيَحْصُلَ لهُمْ بِذَلِكَ لَفْظُ المَعْرِفَةِ الَّذِي قَصَدُوه، فَيَتَطَابَقُ اللَّفْظُ وَالمعْنَى))[٤٥].

وَقَد عَلَّقَ الأُسْتَاذُ عَبَّاس حَسَن عَلَى هَذَا التَّحْلِيلِ بِأَنَّهُ خَيَالِيٌّ وَأَنَّ العَرَبِيَّ كَانَ يَتَكَلَّمُ عَلَى السَّلِيقَةِ لا يَعْرِفُ بِهَذَا الأَمْرِ، قَالَ: ((وَكُلُّ مَا تَقَدَّمَ خَيَالِيٌّ مَحْضٌ يَحْسُنُ إِهْمَالُهُ، إِذْ لا يَعْرِفُ العَرَبِيُّ الأَصْلِ عَنْهُ شَيْئًا. أَمَّا التَّعلِيلُ الحَقُّ فَهُوَ كَلَامُ العَرَبِ وَحْدَهُ))[٤٦].

وَيَلْحَقُ بِهَذِهِ المسْأَلَةِ (أل) الموصُولَةُ الدَّاخِلَةُ عَلَى صِفَةٍ صَرِيحَةٍ لِغَيْرِ تَفْصِيلٍ وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: اسْم الْفَاعِلِ كَالضَّارِبِ وَاسم الْمَفْعُولِ كَالمضْرُوبِ وَالصِّفَة المشَبَّهَة كَالحَسَنِ، فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى اسْمٍ جَامِدٍ كَالرَّجُلِ أَوْ عَلَى وَصْفٍ يُشْبِهُ الْأَسْمَاءَ الجَامِدَةَ كَالصَّاحِبِ أَوْ عَلَى وَصْفِ التَّفْضِيلِ كَالأَفْضَلِ وَالأَعْلَى فَهِيَ حَرْفُ تَعْرِيف[٤٧]، فَقَد دَفَعَ التَّفكِيرُ النَّحْوِيُّ فِي وَظِيفَتِهَا وَدَلَالَتِهَا بَعْضَ النَّحْوِيينَ إِلَى الذَّهَابِ إِلَى أَنَّهَا استُعْمِلَتْ لِضَرْبٍ مِن إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ، قَالَ الأُسْتَاذُ عَبَّاس حَسَن: ((لَيْسَتْ (أل) هَذِهِ هُنَا لِلتَّعرِيفِ، فِي الأَشْهَرِ، وَإِنَّمَا هِيَ لِضَرْبٍ مِن إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ؛ لأَنَّ اسْمَ الموصُولِ يَتَعَرَّفُ بِصِلَتِهِ. وَكَثِيرٌ مِن أَسْمَاءِ الموصُولِ مُجَرَّدٌ مِن (أل) مَعَ أَنَّه مَعْرِفَةٌ، فَتَعْرِيفُهُ جَاءَ مِن صِلَتِهِ، لا مِن (أل). وَلَو كَانَتْ لِلتَّعْرِيفِ لَمُنِعَتْ مِن إِعْمَالِ اسْمَي الفَاعِلِ وَالمفْعُولِ إِذَا كَانَا بِمَعْنَى الحَالِ أَوْ الاسْتِقْبَالِ، إِذْ تُبْعِدُهُمَا –كَمَا يَقُولُونَ– عَن شَبَهِ الفِعْلِ، وَتُقَرِّبُهُمَا مِن الجَوَامِدِ؛ لأَنَّهَا مِن خَصَائِصِ الأَسْمَاءِ، وَالأَصْلُ فِي الأَسْمَاءِ الجُمُودُ، بِسَبَبِ وَضْعِهَا لِلذَّوَاتِ، وَالجَامِدُ لا يَعْمَلُ، بِخِلَافِ الفِعْلِ وَمَا يُشْبِهُهُ))[٤٨].

وَإِذَا انتَقَلْنَا إِلَى المستَوَى النَّحوِيِّ فَسَنجِدُ مَجْمَوعَةً مِن المسائِلِ الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّحْوِيُّونَ بِأَنَّهَا مِن إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ، مِن أَهَمِّهَا تَغْيِيرُ مَوقِعِ الفَاءِ الوَاقِعَةِ فِي جَوابِ الشَّرْطِ بَعْدَ الأَدَاةِ (أَمَّا) وَنَقْلِهَا مِن مَحلِّهَا إِلَى مَوضِعٍ آخَرَ لِيَكُونَ التَّرْكِيبُ أَخَفَّ عَلَى اللِّسَانِ كَمَا فِي نَحْوِ: أَمَّا زَيدٌ فَمُنْطَلِقٌ، إِذْ يَرَى النَّحْوِيُّونَ أَنَّ أَصلَ التَّرْكِيبِ: أَمَّا فَزَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، لأَنَّ أَصلَ (أَمَّا) وَمَعنَاهَا عِنْدَهُم هُوَ: مَهْمَا يَكُنْ مِن شَيْءٍ فَزَيْدٌ مُنْطَلِقٌ[٤٩]. وَقَد بَيَّنَ النَّحْوِيُّونَ مَعْنَى (أَمَّا) وَدَلَالَةَ التَّرْكِيبِ الَّذِي تَأْتِي فِيهِ فِي ضَوءِ الأَصلِ الَّذِي قَدَّرُوه لَهَا، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: ((أَمَّا: حَرْفٌ فِيهِ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَلِذَلِكَ يُجَابُ بِالفَاءِ. وَفَائِدَتُهُ فِي الكَلَامِ أَنْ يُعْطِيَهُ فَضْلَ تَوْكِيدٍ. تَقُولُ: زَيْدٌ ذَاهِبٌ. فَإِذَا قَصَدْتَ تَوْكِيدَ ذَاكَ وَأَنَّهُ لا مَحَالَةَ ذَاهِبٌ وَأَنَّهُ بِصَدَدِ الذَّهَابِ وَأَنَّهُ مِنْهُ عَزِيمَةٌ، قُلْتَ: أَمَّا زَيدٌ فَذَاهِبٌ. وَلِذَلِكَ قَالَ سِيبَوَيهِ فِي تَفْسِيرِهِ: مَهْمَا يَكُنْ مِن شَيْءٍ فَزَيْدٌ ذَاهِبٌ. وَهَذَا التَّفْسِيرُ مُدِلٌّ لِفَائِدَتَيْنِ: بَيَان كَوْنِهِ تَوْكِيدًا، وَأَنَّهُ فِي مَعْنَى الشَّرْطِ))[٥٠]. وَقَد بَيَّنَ ابنُ جِنِّي أَصلَ هَذَا التَّرْكِيبِ وَمَا أَصَابَهُ مِن تَغْيِيرٍ لِغَرَضِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ، قَالَ: ((فَمِن ذَلِكَ قَولُهُم: أَمَّا زَيْدٌ فَمُنْطَلِقٌ أَلَا تَرَى أَنَّ تَحْرِيرَ هَذَا القَولِ إِذَا صَرَّحْتَ بِلَفْظِ الشَّرْطِ فِيهِ صِرْتَ إِلَى أَنَّكَ كَأَنَّكَ قُلْتَ: مَهْمَا يَكُنْ مِن شَيْءٍ فَزَيدٌ مُنْطَلِقٌ فَتَجِدُ الفَاءَ فِي جَوَابِ الشَّرطِ فِي صَدْرِ الجُزْأَينِ مُقَدَّمَةً عَلَيْهِمَا. وَأَنتَ فِي قَولِكَ: أَمَّا زَيدٌ فَمُنْطَلِقٌ إِنَّمَا تَجِدُ الفَاءَ وَاسِطَةً بَيْنَ الجُزْأَينِ وَلَا تَقُولُ: أَمَّا فَزَيدٌ مُنْطَلِقٌ كَمَا تَقُولُ فِيمَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ: مَهْمَا يَكُن مِن شَيْءٍ فَزَيدٌ مُنْطَلِقٌ. وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ ***لِإِصْلَاحِ اللَّفْظِ***. ***وَوَجْهُ إِصْلَاحِهِ*** أَنَّ هَذِهِ الفَاءَ وَإِنْ كَانَتْ جَوَابًا وَلَمْ تَكُنْ عَاطِفَةً فَإِنَّهَا عَلَى مَذْهَبِ لَفْظِ العَاطِفَةِ وَبِصُورَتِهَا فَلَوْ قَالُوا: أَمَّا فَزَيْدٌ مُنْطَلِقٌ كَمَا يَقُولُونَ: مَهْمَا يَكُنْ مِن شَيْءٍ فَزَيْدٌ مُنْطَلِقٌ لَوَقَعَتِ الفَاءُ الجَارِيَةُ مَجْرَى فَاءِ العَطْفِ بَعْدَهَا اسْمٌ وَلَيْسَ قَبْلَهَا اسْمٌ، إِنَّمَا قَبْلَهَا فِي اللَّفْظِ حَرْفٌ، وَهُوَ أَمَّا. فَتَنَكَّبُوا ذَلِكَ لما ذَكَرْنَا، وَوَسَّطُوهَا بَيْنَ الحَرْفَينِ لِيَكُونَ قَبْلَهَا اسْمٌ وَبَعْدَهَا آخَرُ فَتَأْتِي عَلَى صُورَةِ العَاطِفَةِ؛ فَقَالُوا: أَمَّا زَيْدٌ فَمُنْطَلِقٌ كَمَا تَأْتِي عَاطِفَةً بَيْنَ الاسْمَيْنِ فِي نَحْوِ قَامَ زَيدٌ فَعَمْرٌو. وَهَذَا تَفْسِيرُ أَبِي عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. وَهُوَ الصَّوَاب))[٥١]. وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ المرَادِيُّ (ت٧٤٩هـ)، إِذْ قَالَ: (( أَمَّا بِفَتحِ الهَمْزَةِ: حَرْفٌ بَسِيطٌ، فِيهِ مَعْنَى الشَّرْطِ، مُؤَوّل بِمَهْمَا يَكُن مِن شَيْءٍ، لأَنَّهُ قَائِمٌ مَقَامَ أَدَاةِ الشَّرْطِ وَفِعْلِ الشَّرْطِ. وَلِذَلِكَ يُجَابُ بِالفَاءِ، ...، وَالجُمْهُورُ يُقَدِّرُونَ أَمَّا بِمَهْمَا يَكُنْ مِن شَيْءٍ، كَمَا تَقَدَّمَ. فَإِذَا قُلْتَ: أَمَّا زَيْدٌ

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

فَمُنْطَلِقٌ، فَالتَّقْدِيرُ: مَهْمَا يَكُنْ مِن شَيْءٍ فَزَيْدٌ مُنْطَلِقٌ. فَحُذِفَ فِعْلُ الشَّرْطِ وَأَدَاتُهُ، وَأُقِيمَتْ أَمَّا مَقَامَهُمَا، فَصَارَ التَّقْدِيرُ: أَمَّا فَزَيْدٌ مُنْطَلِقٌ. فَأُخِّرَتِ الفَاءُ إِلَى الجُزْءِ الثَّانِي، لِضَرْبٍ مِن **إِصْلَاحِ اللَّفْظِ**))[٥٢]. وَقَد بَيَّنَ الشَّيْخُ خَالِدُ الأَزهَرِيُّ أَنَّ العَرَبِيَّةَ خَالَفَتِ الأَصْلَ المُقَدَّرَ فِي اسْتِعْمَالِ أَمَّا وَتَرْكِيبِهَا هَرَبًا مِن قُبْحِ التَّرْكِيبِ لأَنَّهُ فِي صُورَةِ مَعْطُوفٍ بِلَا مَعْطُوفٍ عَلَيْهِ، فَاسْتَعْمَلَتْهَا عَلَى النَّحْوِ المَعْهُودِ فِي لُغَةِ العَرَبِ اليَوْمَ، بِأَنْ فُصِلَ بَيْنَ (أَمَّا) وَالفَاءِ بِجُزْءٍ مِن الجَوابِ، قَالَ: ((وَكَونُ (أَمَّا) تُقَدَّرُ بِهِمَا هُوَ قَولُ الجُمْهُورِ،...، وَلا بُدَّ لَهَا مِن فَاءٍ تَالِيَةٍ لِتَالِيهَا، نَحْو: أَمَّا زَيْدٌ فَمُنْطَلِقٌ، وَالأَصْلُ أَنْ يُقَالَ: أَمَّا فَزَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، فَتُجْعَل الفَاءُ فِي صَدرِ الجَوَابِ كَمَا هِيَ مَعَ غَيرِ (أَمَّا) مِن أَدَوَاتِ الشَّرْطِ. وَلَكِن خُولِفَ هَذَا الأَصْلُ مَعَ (أَمَّا) فَرَارًا مِن قُبْحِهِ لِكَوْنِهِ فِي صُورَةِ مَعْطُوفٍ بِلَا مَعْطُوفٍ عَلَيْهِ. فَفَصَلُوا بَيْنَ (أَمَّا) وَالفَاءِ بِجُزْءٍ مِن الجَوَابِ))[٥٣].

وَمِن مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ طَرِيقَةُ استِعْمَالِ لامِ الابْتِدَاءِ عِنْدَ دُخُولِ (إِنَّ)، إِذْ تُزَحْلَقُ مِن المُبْتَدَأ إِلَى الخَبَرِ، كَمَا فِي: إِنَّ زَيْدًا لَقَائِمٌ؛ لأَنَّ الأَصْلَ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ هُوَ: لَئِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ، ثُمَّ نُقِلَتْ مِن مَحَلِّهَا قَبْلَ (إِنَّ) إِلَى الخَبَرِ، قَالَ المُبَرِّدُ (ت٢٨٥هـ): ((لَا تَقُولُ: لَئِن زَيْدًا مُنْطَلِقٌ؛ لِأَنَّ اللَّامَ فِي مَعْنَى إِنَّ فَإِنْ فَصَلْتَ بَيْنَهُمَا بِشَيْءٍ حَسُنَ وَاسْتَقَامَ فَقُلْتَ: إِنَّ فِي الدَّارِ لَزَيْدًا))[٥٤]. وَقَد بَيَّنَ النَّحْوِيُّونَ أَنَّ سَبَبَ هَذَا المسْلَكِ اللُّغَوِيِّ هُوَ كَرَاهَةُ اجْتِمَاعِ حَرْفَيْنِ يُؤَدِّيَانِ وَظِيفَةً دَلَالِيَّةً وَاحِدَةً –وهِيَ التَّوْكِيدُ– فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، قَالَ الأُشْمُونِيُّ (ت٩٠٠هـ): ((وَكَانَ حَقُّ هَذِهِ اللَّامِ أَنْ تَدْخُلَ عَلَى أَوَّلِ الكَلَامِ؛ لأَنَّ لَهَا الصَّدْرَ، لَكِنْ لما كَانَتْ لِلتَّأْكِيدِ وَ(إِنَّ) لِلتَّأْكِيدِ كَرِهُوا الجَمْعَ بَيْنَ حَرْفَيْنِ لمعْنًى وَاحِدٍ، فَزَحْلَقُوا اللَّامَ إِلَى الخَبَرِ))[٥٥]. وَقَد عَدَّ ابْنُ جِنِّي هَذَا التَّغْيِيرَ فِي مَوْضِعِ اللَّامِ بِنَقْلِهَا مِن أَوَّلِ الجُمْلَةِ إِلَى آخِرِهَا مِن بَابِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ هَرَبًا مِن الجَفَاءِ الَّذِي يَتْرُكُهُ اجْتِمَاعُ مُؤَكِّدَيْنِ: (اللَّام وإِنَّ) فِي مَوضِعٍ وَاحِدٍ، قَالَ: ((وَمِن ذَلِكَ قَولُهُم: إِنَّ زَيْدًا لَقَائِمٌ فَهَذِهِ لامُ الابْتِدَاءِ وَمَوضِعُهَا أَوَّلُ الجُمْلَةِ وَصَدْرُهَا لا آخِرُهَا وَعَجِزُهَا فَتَقْدِيرُهَا أَوَّل: لَئِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ، فَلِمَّا كُرِهَ تَلَاقِي حَرْفَيْنِ لمعْنًى وَاحِدٍ –وَهُوَ التَّوكِيدُ– أُخِّرَتِ اللَّامُ إِلَى الخَبَرِ فَصَارَ إِنَّ زَيْدًا لمنْطَلِقٌ، ...، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَوْضِعَ اللَّامِ فِي خَبَرِ (إِنَّ) أَوَّلُ الجُمْلَةِ قَبْلَ (إِنَّ) أَنَّ العَرَبَ لما جَفَا عَلَيْهَا اجْتِمَاعُ هَذَيْنِ الحَرْفَيْنِ قَلَبُوا الهَمْزَةَ هَاءً لِيَزُولَ لَفْظُ (إِنَّ) فَيَزُولُ أَيْضًا مَا كَانَ مُسْتَكْرَهًا مِن ذَلِكَ فَقَالُوا (لهِنَّكَ قَائِمٌ)؛ أَيْ لَئِنَّكَ قَائِمٌ، ...، فَأَمَّا قَولُ مَنْ قَالَ: إِنَّ قَولَهُم (لَهِنَّكَ) إِنَّ أَصْلَهُ: (للهِ إِنَّكَ)، فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا ذَلِكَ مَعَ مَا عَلَيْهِ فِيهِ فِي مَوضِعٍ آخَرَ، وَعَلَى أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ قَدْ كَانَ قَوَّاهُ بِأَخَرَةٍ، وَفِيهِ تَعَسُّف))[٥٦]. وَقَد تَنَاوَلَ ابْنُ جِنِّي هَذِهِ المسْأَلَةَ فِي مَوضِعٍ آخَرَ؛ فَبَحَثَ فِي سَبَبِ عَدَمِ الجَمْعِ بَيْنَ (إِنَّ) وَاللَّام، مِن جِهَةٍ، وَعِلَّةُ تَأْخِيرِ اللَّامِ دُونَ (إِنَّ)، مِن جِهَةٍ أُخْرَى، قَالَ: ((تَدْخُلُ هَذِهِ اللَّامُ عَلَى الجُمْلَةِ الَّتِي فِي أَوَّلِهَا إِنَّ المثَقَّلَةُ المحَقَّقَةُ؛ فَيَلْزَمُ تَأْخِيرُ اللَّامِ إِلَى الخَبَرِ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: إِنَّ زَيْدًا لمنْطَلِقٌ، فَأَصْلُ هَذَا: إِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ، ثُمَّ جَاءَتِ اللَّامُ؛ فَصَارَ التَّقْدِيرُ: لَئِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ؛ فَلَمَّا اجْتَمَعَ حَرْفَانِ لمعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ التَّحْقِيقُ وَالتَّوْكِيدُ، كُرِهَ اجْتِمَاعُهُمَا، فَأُخِّرَتِ اللَّامُ إِلَى الخَبَرِ، فَصَارَ الكَلامُ: إِنَّ زَيْدًا لمنْطَلِقٌ، ...، فَإِنْ قِيلَ: فَقَد ثَبَتَ أَنَّ اللَّامَ كَانَ سَبِيلُهَا أَنْ تَكُونَ فِي أَوَّلِ الكَلَامِ، وَصَحَّ بِمَا قَدمته؛ فَهَلَّا جُمِعَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ (إِنَّ) فَكَانَ ذَلِكَ يَكُونُ أَوْكَدَ، وَلِمَ فُصِلَ بَيْنَهُمَا؟ فَالجَوَابُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الكَلَامِ حَرْفَانِ لمعنًى وَاحِدٍ مُجْتَمِعَانِ، وَالعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الغَرَضَ فِي هَذِهِ الحُرُوفِ الدَّوَالِّ عَلَى المعَانِي؛ إِنَّمَا هُوَ التَّخْفِيفُ وَالاخْتِصَارُ، أَلَا تَرَى أَنَّ (هَلْ) تَنُوبُ عَن أَسْتَفْهِمُ وَ(مَا) تَنُوبُ عَن أَنْفِي، ...، فَإِذَا كَانَ الغَرَضُ فِيهَا إِنَّمَا هُوَ الاخْتِصَارُ وَالاسْتِغْنَاءُ بِالقَلِيلِ عَن الكَثِيرِ؛ فَلَا وَجْهَ لِلجَمْعِ بَيْنَ حَرْفَيْنِ لمعْنًى وَاحِدٍ، إِذْ فِي الوَاحِدِ كِفَايَةٌ مِن الآخَرِ وَغَنَاءٌ عَنْهُ، وَلَوْ جُمِعَ مَعَهُ لَانْتَقَضَ الغَرَضُ بِتَكْرِيرِهِ وَالإِكْثَارِ بِإِعَادَتِهِ؛ فَإِذَا تَبَاعَدَ عَنْهُ؛ لَمْ يَجْتَمِعْ فِي اللَّفْظِ مَعَهُ اسْتُجِيزَ اجْتِمَاعُهُمَا فِي الجُمْلَةِ الوَاحِدَةِ))[٥٧].

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

وَمِن مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ تَرْكِيبُ الأَدَاةِ (كَأَنَّ)؛ إِذْ يَرَى جُمْهُورُ النَّحْوِيِّينَ أَنَّهَا تَتَرَكَّبُ مِن كَافِ التَّشْبِيهِ وَالحَرْفِ المشَبَّهِ بِالفِعْلِ: (إِنَّ) ، أَيْ انَّ الأَصْلَ هُوَ: زَيْدٌ كَعَمْرٍو، ثُمَّ جِيْءَ بـ(إِنَّ) لِتَوْكِيدِ التَشبِيهِ، فَصَارَتِ الجُمْلَةُ: إِنَّ زَيْدًا كَعَمْرٍو، ثُمَّ رُكِّبَتِ الأَدَاتَانِ (إِنَّ وَكَافُ التَّشْبِيهِ)، فَصَارَتَا: كَأَنَّ، فَقَالُوا: كَأَنَّ زَيْدًا عَمْرٌو؛ قَالَ سِيْبَوَيْهِ: ((وَسَأَلْتُ الخَلِيْلَ عَن كَأَنَّ، فَزَعَمَ أَنَّهَا إِنَّ، لَحِقَتْهَا الكَافُ لِلتَّشْبِيهِ، وَلَكِنَّهَا صَارَتْ مَعَ إِنَّ بِمَنْزِلَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ))[٥٨]. وَقَدْ أَرْجَعَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ هَذَا التَّغْيِيرَ بِتَرْكِيبِ الأَدَاةِ (كَأَنَّ) مِن الأَدَاتَينِ المذْكُورَتَيْنِ (إِنَّ وَكَاف التَّشْبِيهِ) إِلَى الاهْتِمَامِ بِالتَّشْبِيهِ وَالعِنَايَةِ بِهِ؛ فَقَدْ وَضَّحَ أَبُو البَرَكَاتِ الأَنْبَارِي أَصْلَ (كَأَنَّ) وَالغَايَةَ مِن تَرْكِيبِهَا، وَبَيَّنَ أَنَّ مَا أَصَابَهَا مِن تَغْيِيرٍ عَن طَرِيقِ التَّرْكِيبِ شَبِيهٌ بِمَا جَرَى مِن نَقْلٍ لِمَحلِّ لَامِ الابْتِدَاءِ مِن أَوَّلِ الجُمْلَةِ إِلَى آخِرِهَا عِنْدَ دُخُولِ الحَرْفِ المشَبَّهِ بِالفِعْلِ: (إِنَّ) عَلَى الجُمْلَةِ، قَالَ: ((وَأَصْلُهَا إِنَّ أُضِيفَ إِلَيْهَا الكَافُ لِلتَّشْبِيهِ، وَالأَصْلُ فِي الكَافِ أَنْ تَكُونَ مُؤَخَّرَةً؛ كَمَا أَنَّ الأَصْلَ فِي اللَّامِ أَنْ تَكُونَ مُقَدَّمَةً؛ فَإِذَا قُلْتَ: كَأَنَّ زَيْدًا الأَسَدُ، كَانَ الأَصْلُ فِيهِ: إِنَّ زَيْدًا كَالأَسَدِ، كَمَا إِذَا قُلْتَ: إِنَّ زَيْدًا لَقَائِمٌ، كَانَ الأَصلُ فِيهِ: لَئِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ، إِلَّا أَنَّهُ قُدِّمَتِ الكَافُ عَلَى (إِنَّ) عِنَايَةً بِالتَّشْبِيهِ، وَأُخِّرَتِ اللَّامُ عَن (إِنَّ) لِئَلَّا يَجْمَعُوا بَيْنَ حَرْفَيْ تَأْكِيدٍ، فَلَمَّا نُصِبَ بِهَا مَعَ التَّخْفِيفِ دَلَّ عَلَى أَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ فِعْلٍ قَدْ حُذِفَ بَعْضُ حُرُوفِهِ))[٥٩]. وَهُوَ مَا أَخَذَ بِهِ ابْنُ هِشَامٍ، إِذْ قَالَ: ((وَالْأَصْلُ فِي كَأَنَّ زَيْدًا أَسَدًا إِنَّ زَيْدًا كَأَسَدٍ ثُمَّ قُدِّمَ حَرْفُ التَّشْبِيهِ اهْتِمَامًا بِهِ))[٦٠]. فِي حِين عَالَجَ العُكْبَرِيُّ الغَايَةَ مِن هَذَا التَّرْكِيبِ مِن زَاوِيَةٍ أُخْرَى، نَاظِرًا فِيهَا إِلَى مَقَاصِدِ المتَكَلِّمِ وَمُوَازِنًا بَيْنَ مَعْنَى التَّشْبِيهِ الَّذِي تُفِيدُه (الكَافُ) وَمَعْنَى التَّحْقِيقِ الَّذِي تُفِيدُه (إِنَّ)، مُنْتَهِيًا إِلَى أَنَّهُم ابْتَدَءُوا بِحَرْفِ التَّشْبِيهِ لأَنَّهُ أَوْلَى مِن أَنْ يَبْتَدِئُوا بِحَرْفِ التَّحْقِيقِ ثُمَّ يَعُودُوا إِلَى التَّشْبِيهِ؛ لِيَدُلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَبْنَى الجُمْلَةِ —عِنْدَئِذٍ– قَائِمٌ عَلَى التَّشْبِيهِ، قَالَ: ((وَالْأَصْلُ فِي (كَأَنَّ زَيدًا الأَسَدُ) إِنَّ زَيْدًا كَالأَسَدِ ثُمَّ قَدَّمُوا (الْكَافَ) فَأَدْخَلُوهَا عَلَى (أَنَّ) لِيَبْتَدِئُوا بِالمشَبَّهِ وَهُوَ أَوْلَى مِن أَنْ يَبْتَدِئُوا بِمَا لَفْظُه لَفْظُ التَّحْقِيقِ ثُمَّ يَعُودَ التَّشْبِيهُ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِك))[٦١]. فِي حين جَعَلَ ابْنُ جِنِّي الغَايَةَ مِن تَركِيبِ هَاتَينِ الأَدَاتَينِ: (إِنَّ وَكَاف التَّشْبِيهِ) عَلَى هَذَا النَّحْوِ هِيَ إِصْلَاح اللَّفْظِ، وَهُوَ مَا يَصُبُّ بِدَورِهِ فِي دِقَّةِ المعَانِي وَقُوَّتِهَا، قَالَ: ((وَمِن إِصْلَاح اللَّفْظِ قَوْلُهُم: كَأَنَّ زَيْدًا عَمْرٌو. اِعْلَمْ أَنَّ أَصْلَ هَذَا الكَلَامِ: زَيْدٌ كَعَمْرٍو، ثُمَّ أَرَادُوا تَوكِيدَ الخَبَرِ فَزَادُوا فِيهِ (إِنَّ) فَقَالُوا: إِنَّ زَيْدًا كَعَمْرٍو، ثُمَّ إِنَّهُم بَالَغُوا فِي تَوكِيدِ التَّشْبِيهِ فَقَدَّمُوا حَرْفَهُ إِلَى أَوَّلِ الكَلَامِ عِنَايَةً بِهِ وَإِعْلَامًا أَنَّ عَقْدَ الكَلَامِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا تَقَدَّمَتِ الكَافُ وَهِيَ جَارَّةٌ لم يَجُزْ أَنْ تُبَاشِرَ (إِنَّ) لأَنَّهَا يَنْقَطِعُ عَنْهَا مَا قَبْلَهَا مِن العَوَامِلِ فَوَجَبَ لِذَلِكَ فَتْحُهَا فَقَالُوا: كَأَنَّ زَيْدًا عَمْرٌو))[٦٢].

وَمِن أَشْكَالِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزيِينِهِ، فِي العَرَبِيَّةِ، تَأْخِيرُ المبْتَدَأِ إِذَا كَانَ نَكِرَةً وَتَقْدِيمُ الخَبَرِ –الَّذِي غَالِبًا مَا يَكُونُ شِبْهَ جُمْلَةٍ– عَلَيْهِ؛ لأَنَّ المبْتَدَأَ النَّكِرَةَ لا يَحْسُنُ الابْتِدَاءُ بِهِ، قَالَ سِيْبَوَيهِ: ((إِنَّ الابْتِدَاءَ إِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ، وَأَحْسَنُهُ إِذَا اجْتَمَعَ نَكِرَةٌ وَمَعْرِفَةٌ أَنْ يَبْتَدِئَ بِالأَعْرَفِ؛ وَهُوَ أَصْلُ الكَلَامِ))[٦٣]. وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ عِنْدَهُم أَنَّ فِي الابْتِدَاءِ بِالنَّكِرَةِ جَفَاءً وَقُبْحًا مِن حَيْثُ المعْنَى؛ ذَلِكَ أَنَّهُ لا يُفِيدُ مَعْنًى عِنْدَ السَّامِعِ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ الأَوْلَى أَنْ يَكُونَ المبْتَدَأُ مَعْرِفَةً أَوْ نَكِرَةً مُخْتَصَّةً، قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ: ((وَحَقُّ المبْتَدَأِ أَنْ يَكُونَ مَعْرِفَةً أَوْ مَا قَارَبَ المعْرِفَةَ مِن النَّكِرَاتِ المَوْصُوفَةِ خَاصَّةً، ...، وَإِنَّمَا امْتَنَعَ الابْتِدَاءُ بِالنَّكِرَةِ المفْرَدَةِ المحْضَةِ لأَنَّهُ لا فَائِدَةَ فِيهِ، وَمَا لا فَائِدَةَ فِيهِ فَلَا مَعْنَى لِلتَّكَلُّمِ بِهِ، ...، فَإِذَا اجْتَمَعَ اسْمَانِ مَعْرِفَةٌ وَنَكِرَةٌ، فَحَقُّ المعْرِفَةِ أَنْ تَكُونَ هِيَ المبْتَدَأَ وَأَنْ تَكُونَ النَّكِرَةُ الخَبَرَ لأَنَّكَ إِذَا ابْتَدَأْتَ فَإِنَّمَا قَصْدُكَ تَنْبِيهُ السَّامِعِ بِذِكْرِ الاسْمِ الَّذِي تُحَدِّثُهُ عَنْهُ لِيَتَوَقَّعَ الخَبَرَ بَعْدَهُ، فَالخَبَرُ هُوَ الَّذِي يُنْكِرُهُ وَلا يَعْرِفُهُ وَيَسْتَفِيدُه))[٦٤]. وَمِن ثَمَّ فَقَد اتَّجَهُوا إِلَى إِصْلَاحِ اللَّفْظِ بِأَنْ أَخَّرُوا المبْتَدَأَ وَقَدَّمُوا عَلَيْهِ الخَبَرَ، حَتَّى لا يَكُونَ اللَّفْظُ النَّكِرَةُ أَوَّلَ مَا يَقَعُ فِي سَمْعِ المتَلَقِّي، قَالَ ابْنُ جِنِّي فِي بَابِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ: ((وَمِن ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُم: لَكَ مَالٌ وَعَلَيْكَ دَيْنٌ، فَالمالُ وَالدَّينُ هُنَا مُبْتَدَآنِ، وَمَا قَبْلَهُمَا خَبَرٌ عَنْهُمَا

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

إِلَّا أَنَّكَ لَوْ رُمْتَ تَقْدِيمَهُمَا إِلَى المكَانِ المقَدَّرِ لَهُمَا لَمْ يَجُزْ، لِقُبْحِ الابْتِدَاءِ بِالنَّكِرَةِ فِي الوَاجِبِ فَلَمَّا **جَفَا ذَلِكَ فِي اللَّفْظِ** أَخَّرُوا المبْتَدَأَ وَقَدَّمُوا الخَبَرَ وَكَانَ ذَلِكَ سَهْلًا عَلَيْهِم **وَمُصلِحًا لما فَسَدَ عِندَهم**. وَإِنَّمَا كَانَ تَأَخُّرُه مُسْتَحْسَنًا مِن قِبَلِ أَنَّه لما تَأَخَّرَ وَقَعَ مَوقِعَ الخَبَرِ وَمِن شَرْطِ الخَبَرِ أَنْ يَكُونَ نَكِرَةً، فَلِذَلِكَ **صَلحَ بِهِ اللَّفْظُ** وَإِنْ كُنَّا قَد أَحطْنَا عِلْمًا بِأَنَّهُ فِي المعْنَى مُبْتَدَأٌ. فَأَمَّا مَنْ رَفَعَ الاسْمَ فِي نَحْوِ هَذَا بِالظَّرْفِيَّةِ فَقَدْ كُفِيَ مَئونَةَ هَذَا الاعْتِذَارِ لأَنَّهُ لَيْسَ مُبْتَدَأً عِنْدَه))[٦٥]. وَقَد وَقَفَ الأُشْمُونِيُّ عَلَى مُسَوِّغِ الابْتِدَاءِ بِالنَّكِرَةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الحَالَةِ عَن طَرِيقِ تَقْدِيمِ الخَبَرِ شِبْهِ الجُمْلَةِ عَلَيْهِ؛ فَبَيَّنَ أَنَّهُ لا دَخلَ لِتَقْدِيمِ الخَبَرِ فِي تَسْوِيغِ الابْتِدَاءِ بِالنَّكِرَةِ، وَإِنَّمَا الأَمْرُ يَعُودُ إِلَى تَوَهُّمِ الوَصْفِ النَّاتِجِ مِن تَأْخِيرِ المبْتَدَأِ؛ قَالَ: ((وَلا دَخلَ لِلتَّقْدِيمِ فِي التَّسْوِيغِ، وَإِنَّمَا هُوَ لما فِي التَّأْخِيرِ مِن تَوَهُّمِ الوَصْفِ))[٦٦].

وَمِن صُوَرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ اسْتِعْمَالُ الاسْمِ الموْصُولِ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى وَصْفِ الاسْمِ المعَرَّفِ بِالجُمْلَةِ، لأَنَّهُم يَرَوْنَ أَنَّ الجُمْلَةَ نَكِرَةٌ فَلَا تُوصَفُ بِهَا المعْرِفَةُ إِلَّا عَن طَرِيقِ المجِيءِ بِالموْصُولِ الَّذِي يُحَسِّنُ الجُمْلَةَ وَيُهَيِّئُهَا لِوَصْفِ المعْرِفَةِ، قَالَ ابْنُ جِنِّي: ((وَمِن ذَلِكَ أَنَّهم لما أَرَادُوا أَنْ يَصِفُوا المعْرِفَةَ بِالجُمْلَةِ كَمَا وَصَفُوا بِهَا النَّكِرَةَ، وَلَمْ يَجُزْ أَنْ يُجْرُوهَا عَلَيْهَا لِكَونِهَا نَكِرَةً **أَصْلَحُوا اللَّفْظَ** بِإِدْخَالِ (الَّذِي) لِتُبَاشِرَ بِلَفْظِ حَرْفِ التَّعْرِيفِ المعْرِفَةَ فَقَالُوا: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ الَّذِي قَامَ أَخُوه، وَنَحْوه))[٦٧]. وَقَدْ وَقَفَ الجُرْجَانِيُّ (ت٤٧١ هـ) عَلَى هَذِهِ المسْأَلَةِ مُبَيِّنًا سَبَبَ اسْتِعْمَالِ الاسْمِ الموْصُولِ وَدَلَالَاتِ هَذَا الاسْتِعْمَالِ؛ قَالَ: ((إِنَّ (الَّذِي) اجْتُلِبَ لِيَكُونَ وُصْلَةً إِلَى وَصْفِ المعَارِفِ بِالجُمَلِ، كَمَا اجتُلِبَ (ذُو) لِيُتَوصَّلَ بِهِ إِلَى الوَصْفِ بِأَسْمَاءِ الأَجْنَاسِ، يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّكَ تَقُولُ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ الَّذِي أَبُوه مُنْطَلِقٌ وَالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ عِنْدَنَا أَمْسِ، فَتَجِدُكَ قَد تَوَصَّلْتَ بـ (الَّذِي) إِلَى أَنْ أَبَنْتَ زَيْدًا مِنْ غَيْرِهِ، ....، (الَّذِي) تُوصَلُ بِجُمْلَةٍ سَبَقَ مِن السَّامِعِ العِلْمُ بِهَا، ...، تَفْسِيرُ هَذَا أَنَّكَ لا تَصِلُ (الَّذِي) إِلَّا بِجُمْلَةٍ مِن الكَلامِ قَدْ سَبَقَ مِن السَّامِعِ عِلْمٌ بِهَا، وَأَمْرٌ قَدْ عَرَفَهُ لَهَ، نَحْوَ أَنْ تَرَى عِنْدَه رَجُلًا يُنْشِدُه شِعْرًا فَتَقُولُ لَهُ مِنْ غَدٍ: "مَا فَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالأَمْسِ يُنْشِدُكَ الشِّعْرَ؟ ". هَذَا حُكْمُ الجُمْلَةِ بَعْدَ (الذي)، إِذَا أَنتَ وَصَفْتَ بِهِ شَيْئًا. فَكَانَ مَعْنَى قَوْلِهم: "إِنَّه اجْتُلِبَ لِيُتَوصَّلَ بِهِ إِلَى وَصْفِ المعَارِفِ بِالجُمَلِ"، أَنَّهُ جِيْءَ بِهِ لِيَفْصِلَ بَيْنَ أَنْ يُرادَ ذِكْرُ الشَّيْءِ بِجُمَلَةٍ قَدْ عَرَفَهَا السَّامِعُ لَهُ، وَبَيْنَ أَنْ لا يَكُون الأَمْرُ كَذَلِك))[٦٨]. وَقَد أَوْجَزَ العُكْبَرِيُّ هَذَا الكَلامَ بِالقَولِ: ((وَالغَرَضُ مِن الإِتْيَانِ بِالَّذِي وَالَّتِي وَصْفُ المعَارِفِ بِالْجُمَلِ إِذْ كَانَتِ الْجُمَلُ تُفَسَّرُ بِالنَّكِرَاتِ وَيَنْبَغِي أَنْ يُتَوَصَّلَ إِلَى وَصْفِ الْمَعْرِفَةِ بِالْجُمْلَةِ لئلّا يَكُونَ لِلنَّكِرَةِ مَا لَيْسَ لِلمَعْرِفَةِ وَهَذَا كَجَعْلِهم (ذُو) وُصْلَةً إِلَى الوَصْفِ بِالأَجْنَاسِ وَ(أَي) وُصْلَةً إِلَى نِدَاءِ مَا فِيهِ الْأَلِفُ وَاللَّام))[٦٩].

وَمِن إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ فِي العَرَبِيَّةِ تَرْكُ إِظْهَارِ الضَّمِيرِ فِي الاسْمِ الثَّانِي مِن المتَعَاطِفَيْنِ قَبْلَ اسْتِيفَاءِ المضَافِ إِلَيْهِ،كَمَا فِي: جَاءَ أَخُو وَغُلامُ عَلِيٍّ، الَّتِي أَصْلُهَا: جَاءَ أَخُو عَلِيٍّ وَغُلَامُهُ، فَلَمَّا حُذِفَ المضَافُ إِلَيهِ الأَوَّلُ جُعِلَ المضَافُ إِلَيهِ الثَّانِي اسْمًا ظَاهِرًا، فَيَكُون (غُلام) مُضَافًا، وَالمضَافُ إِلَيهِ مَحْذُوفًا تَقْدِيرُه (عَلِيّ)، ثُمَّ حُذِفَ الضَّمِيرُ مِن (غُلامه) إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ وَتَحْسِينًا لَه، لِئَلَّا يَبْقَى الاسمُ المجْرُورُ (عَلِي) مِن دُون جَارٍ، وَمِثَالُه عِنْدَ القُدَمَاءِ: بَيْنَ ذِرَاعَي وَجَبْهَةِ الأَسَدِ[٧٠]؛ قَالَ ابْنُ جِنِّي: ((قِيْلَ: أَمَّا تَرْكُهم إِظْهَارَ الضَّمِيرِ فِي الثَّانِي، وَأَنْ يَقُولُوا: بَيْنَ ذِرَاعَيْ وَجَبْهَتِهِ الأَسَد وَنَحْو ذَلِك، فَإِنَّهُم لَوْ فَعَلُوه لَبَقِيَ المجْرُورُ لَفْظًا لا جَارَّ لَه فِي اللَّفْظِ يُجَاوِرُه، لَكِنَّهُم لما قَالُوا: بَيْنَ ذِرَاعَي وَجَبْهَةِ الأَسَدِ صَارَ كَأَنَّ (الأَسَد) فِي اللَّفْظِ مَجْرُورٌ بِنَفْسِ (الجَبْهَةِ)، وَإِنْ كَانَ فِي الحَقِيقَةِ مَجْرُورًا بِنَفْسِ الذِّرَاعَيْنِ. وَكَأَنَّهُم فِي ذَلِكَ إِنَّمَا أَرَادُوا **إِصْلَاحَ اللَّفْظِ**. وَأَمَّا قُبْحُ حَذْفِ الضَّمِيرِ مَجْرُورًا لِضعْفِه عَن الانفِصَالِ، فَسَاقِطٌ عَنَّا أَيْضًا، وَذَلِكَ أَنَّه إِنَّمَا يَقْبُحُ فَصْلُ الضَّمِيرِ المجرورِ مَتَى خَرَجَ إِلَى اللَّفْظِ نَحْو: مَرَرْتُ بِزَيْدُوكَ، وَنَزَلْتُ عَلَى زَيْدُوه لِضعْفِهِ أَنْ يُفَارِقَ مَا جَرَّه. فَأَمَّا إِذَا لم يَظْهَرْ إِلَى اللَّفْظِ وَكَانَ إِنَّمَا هُوَ مُقَدَّرٌ فِي النَّفْسِ غَيْرُ مُسْتَكْرَه عَلَيهِ اللَّفْظ فَإِنَّهُ لا يَقْبُحُ، أَلَا تَرَى أَنَّ هُنَا أَشْيَاءَ مُقَدَّرَةً لَوْ ظَهَرَتْ

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

إِلَى اللَّفْظِ قَبُحَتْ، وَلأَنَّهَا غَيرُ خَارِجَةٍ إِلَيهِ مَا حَسُنَتْ، مِن ذَلِكَ قَولُهم: اخْتَصَمَ زَيْدٌ وَعَمْرٌو، أَلَا تَرَى أَنَّ العَامِلَ فِي المَعْطُوفِ غَيْرُ العَامِلِ فِي المَعْطُوفِ عَلَيهِ، فَلَا بُدَّ إِذًا مِن تَقْدِيرِهِ عَلَى: اخْتَصَمَ زَيْدٌ وَاخْتَصَمَ عَمْرٌو، وَأَنْتَ لَوْ قُلْتَ ذَلِكَ لَمْ يَجُزْ؛ لأَنَّ اخْتَصَمَ وَنَحْوه مِن الأَفْعَالِ –مِثْلِ اقْتَتَلَ وَاسْتَبَّ وَاصْطَرَعَ– لا يَكُونُ فَاعِلُهُ أَقَلَّ مِن اثْنَيْنِ، وَكَذَلِكَ قَولُهم: رُبَّ رَجُلٍ وَأَخِيهِ، وَلَوْ قُلْتَ: وَرُبَّ أَخِيهِ لَمْ يَجُزْ، وَإِنْ كَانَتْ رُبَّ مُرَادَةً هُنَاكَ وَمُقَدَّرَة))[٧١].

وَمِن صُوَرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ، فِي العَرَبِيَّةِ، اسْتِعْمَالُ الفَاءِ فِي نَحْو: زَيْدًا فَأَكْرِمْ، إِذْ ذَهَبَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ إِلَى أَنَّ أَصْلَ الجُمْلَةِ هُوَ: تَنَبَّهْ فَأَكْرِمْ زَيْدًا، ثُمَّ حُذِفَ الفِعْلُ الأَوَّلُ: (تَنَبَّهْ)، فَبَقِيَتِ الجُمْلَةُ: فَأَكْرِمْ زَيْدًا، وَمِن ثَمَّ، وَقَعَتِ الفَاءُ أَوَّلًا مِن دُون أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَيهَا شَيْءٌ، فَقُدِّمَ المَفْعُولُ بِهِ لِيَكُونَ مُسَوِّغًا لِوُجُودِ الفَاءِ، فَقَالُوا: زَيْدًا فَأَكْرِمْ، قَالَ أَبُو حَيَّان الأَنْدَلسِيّ (ت٧٤٥هـ): ((وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ. إِيَّايَ: مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ مُقَدَّرًا بَعْدَهُ لِانْفِصَالِ الضَّمِيرِ، وَإِيَّايَ ارْهَبُوا، وَحُذِفَ لِدِلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَتَقْدِيرُهُ قَبْلَهُ، وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: فَارْهَبُونِ، دَخَلَتْ فِي جَوَابِ أَمْرٍ مُقَدَّرٍ، وَالتَّقْدِيرُ: تَنَبَّهُوا فَارْهَبُونِ، ...، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: الَّذِي ظَهَرَ فِيهَا بَعْدَ الْبَحْثِ أَنَّ الْأَصْلَ فِي: زَيْدًا فَاضْرِبْ، تَنَبَّهْ: فَاضْرِبْ زَيْدًا، ثُمَّ حُذِفَ تَنَبَّهْ فَصَارَ: فَاضْرِبْ زَيْدًا. فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفَاءُ صَدْرًا قَدَّمُوا الِاسْمَ ***إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ***، وَإِنَّمَا دَخَلَتِ الْفَاءُ هُنَا لِتَرْبِطَ هَاتَيْنِ الْجُمْلَتَيْنِ، انْتَهَى مَا لُخِّصَ مِنْ كَلَامِهِ. وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا فَتَحْتَمِلُ الْآيَةُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ وَإِيَّايَ ارْهَبُوا، تَنَبَّهُوا فَارْهَبُونِ، فَتَكُونُ الْفَاءُ دَخَلَتْ فِي جَوَابِ الْأَمْرِ، وَلَيْسَتْ مُؤَخَّرَةً مِنْ تَقْدِيمٍ. وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ وَتُنَبَّهُوا فَارْهَبُونِ، ثُمَّ قُدِّمَ الْمَفْعُولُ فَانْفَصَلَ، وَأُخِّرَتِ الْفَاءُ حِينَ قُدِّمَ الْمَفْعُولُ وَفِعْلُ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ تَنَبَّهُوا مَحْذُوفٌ، فَالْتَقَى بَعْدَ حَذْفِهِ حَرْفَانِ: الْوَاوُ الْعَاطِفَةُ وَالْفَاءُ، الَّتِي هِيَ جَوَابُ أَمْرٍ، فَتَصَدَّرَتِ الْفَاءُ، فَقُدِّمَ الْمَفْعُولَ وَأُخِّرَتِ الْفَاءُ ***إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ***، ثُمَّ أُعِيدَ الْمَفْعُولُ عَلَى سَبِيلِ التَّأْكِيدِ وَلِتَكْمِيلِ الْفَاصِلَةِ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ الْأَخِيرِ لَا يَكُونُ إِيَّايَ مَعْمُولًا لِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ، بَلْ مَعْمُولًا لِهَذَا الْفِعْلِ الْمَلْفُوظِ بِهِ، وَلَا يَبْعُدُ تَأْكِيدُ الضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ بِالضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ، كَمَا أُكِّدَ الْمُتَّصِلُ بِالْمُنْفَصِلِ فِي نَحْوِ: ضَرَبْتُكَ إِيَّاكَ))[٧٢]. وَقَد لَخَّصَ السَّمِينُ الحَلَبِيُّ (ت٧٥٦هـ) هَذَا الكَلَامَ، آخِذًا بِفِكْرَةِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ؛ قَالَ: ((وَالفَاءُ فِي «فَارْهَبُونِ» فِيهَا قَوْلَانِ لِلنَّحْوِيِّينَ، أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا جَوَابُ أَمْرٍ مُقَدَّرٍ تَقْدِيرُه: تَنَبَّهُوا فَارْهَبُونِ، وَهُوَ نَظِيرُ قَولِهِم: (زَيْدًا فَاضْرِبْ) أَيْ: تَنَبَّهْ فَاضْرِبْ زَيْدًا، ثُمَّ حُذِفَ: تَنَبَّه فَصَارَ: فَاضْرِبْ زَيْدًا، ثُمَّ قُدِّمَ المَفْعُولُ ***إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ***، لِئَلَّا تَقَعَ الفَاءُ صَدْرًا، وَإِنَّمَا دَخَلَتِ الفَاءُ لِتَربِطَ هَاتَينِ الجُمْلَتَيْنِ. وَالقَولُ الثَّانِي فِي هَذِهِ الفَاءِ: أَنَّهَا زَائِدَةٌ))[٧٣]. وَالْمُتَأَمِّلُ فِي مِثْلِ هَذَا التَّوْجِيهِ يَرَى فِيهِ تَكَلُّفًا وَتَعَسُّفًا، أَدَّى إِلَى القَولِ بِتَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ فِي الجُمْلَةِ وَلَا يَدُلُّ شَيْءٌ فِيهَا عَلَيْهِ، وَهُوَ: الفِعْلُ (تَنَبَّهْ)، ثُمَّ القَولِ بِتَقْدِيمِ المَفْعُولِ بِهِ، وَهُوَ فِي الجُمْلَةِ (زَيْدًا)، لِغَرَضٍ لَفْظِيٍّ، وَهُوَ أَنْ لا تَتَصَدَّر الجُمْلَةُ بِالفَاءِ، عَلَى الرَّغْمِ مِن أَنَّ التَّقْدِيمَ هُنَا هُوَ لِغَرَضٍ مَعْنَوِيٍّ دَلَالِيٍّ مَنْبَعُه الاهْتِمَامُ بِالاسْمِ لا بِالحَدَثِ.

وَلَابُدَّ مِن الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ مِثْلَ هَذَا التَّقْدِيرِ قَدْ يُؤَدِّي، نَوْعًا مَا، إِلَى تَغْيِيرِ الدَّلَالَةِ، بِسَبَبِ الدَّلَالَةِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُعْجَمِيَّةِ الَّتِي يُضْفِيهَا الفِعْلُ الْمُقَدَّرُ (تَنَبَّهْ) عَلَى الجُمْلَةِ.

وَقَرِيبٌ مِن هَذَا مَا وَرَدَ فِي قَولِ ابْنِ مَالِك:

وَمُفْرَدًا نَعْتًا لِمَبْنِيٍّ يَلِي ... فَافْتَحْ، أَو انْصِبَنْ، أَو ارْفَع، تَعْدِل

إِذْ إِنَّ الفَاءَ هُنَا أَيْضًا جِيءَ بِهَا لِلتَّزْيِينِ، قَالَ الأُسْتَاذُ عَبَّاس حَسَن: ((الفَاءُ فِي: (فَافْتَحْ) زَائِدَةٌ ***لِتَحْسِينِ اللَّفْظِ***، فَلَا تَمْنَعُ مِن تَقَدُّمِ مَعْمُولِ مَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، مِثْل كَلِمَة: (مُفْرَدًا) هُنَا))[٧٤].

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

وَقَدْ وَرَدَ حَرْفُ (الفَاء) مُسْتَعْمَلًا لِغَرَضِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ أَوْ تَحْسِينِهِ، فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى مِن كَلَامِ العَرَبِ، حَدَّدَهَا عُلَمَاءُ العَرَبِيَّةِ، وَمِن تِلْكَ الْمَوَاضِعِ اسْتِعْمَالُ الفَاءِ مَعَ (قَدْ، وَقَطْ، وَحَسْب، وَصَاعِدًا، وَزَائِدًا). وَمِن صُوَرِ ذَلِكَ اسْتِعْمَالُ الفَاءِ مَعَ اسْمِ الفِعْلِ (قَدِ) بِمَعْنَى: حَسْب؛ فَقَالُوا: (فَقَد) تَزْيِينًا لِلَّفْظِ وَإِصْلَاحًا لَه، وَمِن ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي قَولِ الشَّاعِرِ[٧٥]:

قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الحَمَامُ لَنَا ... إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفُهُ فَقَدِ

قَالَ ابْنُ المنير الاسْكَنْدَرِيّ (ت ٦٨٣هـ): ((وَقَد: اسْمٌ بِمَعْنَى حَسْب، أُضِيفَتْ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ بِغَيْرِ نُونِ الوِقَايَةِ، كَمَا يُقَالُ: حَسْبِي: وَيَحْتَمِلُ أَنَّ اليَاءَ حَرْفُ إِطْلَاقٍ، فَلَا إِضَافَةَ وَلَكِنَّهَا مُتَعَيِّنَةٌ فِي كَلَامِ زَرْقَاءَ، وَالهَاءُ فِيهِ لِلسَّكْتِ، وَهُوَ يُرَجِّحُ الإِضَافَةَ فِي كَلَامِ النَّابِغَةِ، وَالفَاءُ فِيهِ زَائِدَةٌ ***لِتَحْسِينِ اللَّفْظِ*** كَفَاءِ فَقَط، وَكِلَاهُمَا بِمَعْنَى: انْتَهِ، وَكَأَنَّهَا فَاءُ الجَوَابِ، أَيْ: إِذَا بَلَغت هَذَا الحَدَّ فَانْتَهِ))[٧٦].

وَجَاءَ فِي تَاجِ العَرُوسِ: ((قَط: اسْمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى انْتَهِ، ويُصَدَّرُ كَثِيرًا بِالفَاءِ ***تَزْيِينًا لِلَّفْظِ***، كَأَنَّهُ جَزَاءُ شَرْطٍ مَحْذُوفٍ، أَي إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَانْتَهِ عَن الآخَر))[٧٧]. وَقَالَ الخُضَرِيُّ عَن (فَقَط) فِي قَولِ ابْنِ مَالِك:

(أَلْ) حَرْفُ تَعْرِيفٍ، أَو(اللَّامُ) فَقَطْ ... فَنَمَطٌ عَرَّفْتَ، قُلْ فِيْهِ: النَّمَطْ

: ((الفَاءُ: زَائِدَةٌ ***لِتَزيِينِ اللَّفْظِ***، وَ(قَط) بِمَعْنَى حَسْب. وَهِيَ حَالٌ مِن اللَّامِ فِي بَيْتِ ابْنِ مَالِكٍ، أَيْ: حَالَ كَونِهَا؛ حَسْبُكَ: أَيْ: كَافِيتُكَ عَن طَلَب غَيْرِهَا، وَقِيلَ (الفَاء) فِي جَوَابِ شَرْطٍ مُقَدَّرٍ، وَ(قَط) خَبَرٌ لِمَحْذُوفٍ فَالتَّقْدِيرُ: إِنْ عَرفْتَ هَذا فَقَط أَيْ: فَهِيَ حَسْبُكَ، أَوْ اسْمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى: انْتَهِ، أَيْ: إِذَا عَرفْتَ لَكَ فَهِيَ حَسْبُكَ، أَوْ: فَانْتَهِ عَلَى طَلَبِ غَيْرِهَا))[٧٨]. وَمِن ذَلِكَ الفَاءُ الدَّاخِلَةُ عَلَى (حَسب)، قَالَ الأَزْهَرِيُّ: ((وَدَخَلَتِ الفَاءُ فِي الأَخِيرِ ***تَزْيِينًا لِلَّفْظِ*** كَمَا تَدْخُلُ عَلَى (قَط) فِي قَولِكَ: قَبَضْتُ عَشَرَةً فَقَط))[٧٩]. وَهُوَ مَا أَكَّدَه الكَفَوِيُّ؛ إِذْ قَالَ: ((وَ(حَسْب) بِالسُّكُونِ: أُجْرِيَ مَجْرَى الجِهَاتِ السِّتِّ فِي حَذْفِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَالْبِنَاءِ عَلَى الضَّمِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِن الظُّرُوفِ، وَشُبِّهَ بِـ(غَيْر) فِي عَدَمِ التَّعْرِيفِ بِالْإِضَافَةِ، وَقَدْ تَدْخُلُ الْفَاءُ ***لِتَحْسِينِ اللَّفْظِ***))[٨٠]. وَمِنْهُ الفَاءُ الدَّاخِلَةُ عَلَى (قَط)، قَالَ الأُسْتَاذُ سَعِيدُ الأَفغانِيُّ: ((وَ(الفَاء) لِلتَّرْتِيبِ مَعَ التَّعْقِيبِ وَلِرَبْطِ الجَوَابِ،...، وَتَجِيءُ زَائِدَةً ***لِتَحْسِينِ اللَّفْظِ*** نَحْو: خُذْ سَبْعَةً فَقَط))[٨١]. وَمِن ذَلِكَ أَيْضًا الفَاءُ الدَّاخِلَةُ عَلَى (صَاعِدًا وَنَازِلًا)، قَالَ الأُسْتَاذُ عَبْدُ الغَنِيّ الدّقر (ت ١٤٢٣هـ): ((فَصَاعِداً: تَقُولُ: "أَخَذْتُ هذا بدرْهمٍ فَصَاعِداً"، التَّقدير: أَخَذتُه بدرْهَمٍ، ثُمَّ زِدْتُ صَاعِداً، وَدَخَلَتِ الفَاءُ لأَنَّهَا للتَّرْتِيبِ والتَّعقِيبِ، وقِيلَ: الفَاءُ ***لِتَزْيِينِ اللَّفْظِ***، وَلَوْ أَتَيْتَ بـ(ثُمَّ) بَدَلَ الفَاءِ لَجَازَ، وَلَكِنَّ الفَاءَ أَجْوَدُ، لأَنَّ مَعْنَاهُ الاتِّصَالَ، وَشَرْحُه عَلَى الحَقِيقَةِ: أَخَذْتُه بدَرْهمٍ فَزَاد الثَّمنُ صَاعِداً، فحُذِفَ العَامِلُ وَصاحِبُ العَامِلِ وَصاحِبُ الحَالِ تَخْفِيفًا. وَمِثْلُهُ: "أَخَذْتُه بِدِرْهَمٍ فَزائِدًا"، ولا يَجُوزُ أَخَذْتُه بِدِرْهَمٍ فَصَاعِدٍ ولا وَصَاعِدٍ، لأَنَّكَ لا تُرِيدُ أَنْ تُخْبِرَ أَنَّ الدِّرْهَمَ مَعَ صَاعِدٍ ثَمَنٌ لِشَيْءٍ، وَلَكِنَّكَ أَخْبَرْتَ بِأَدْنَى الثَّمَنِ فَجَعَلْتَه أَوَّلًا ثُمَّ قَصَدتَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ لأَثْمانٍ شَتَّى))[٨٢].

وَمِن مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ البَاءُ الزَائِدَةُ فِي صِيغَةِ التَّعَجُّبِ القِيَاسِيَّةِ (أَفْعِلْ بِهِ)، الَّتِي تُعَدُّ زِيَادَتُهَا زِيَادَةً وَاجِبَةً لا غَالِبَةً وَلا ضَرُورَةً، وَقَد جَاءَ فِي كَلَامِ السَمِينِ الحَلَبِيِّ عَلَى صِيغَةِ التَّعَجُّبِ الوَارِدَةِ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[٨٣] مَا يُوضِّحُ ذَلِكَ، قَالَ: ((قَولُه: ﴿أَبْصِرْ بِهِ﴾: صِيْغَةُ تَعَجُّبٍ بِمَعْنَى مَا أَبْصَرَه، عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، وَالْهَاءُ للهِ تَعَالى. وَفِي مِثْلِ هَذَا ثَلَاثَةُ مَذَاهِبَ: الأَصَحُّ أَنَّهُ بِلَفْظِ الأَمْرِ وَمَعْنَاهُ الخَبَرُ، وَالبَاءُ مَزِيْدَةٌ فِي الفَاعِلِ ***إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ***. وَالثَّانِي: أَنَّ الفَاعِلَ ضَمِيرُ الْمَصْدَرِ. وَالثَّالِثُ: أَنَّه ضَمِيرُ الْمُخَاطَبِ، أَيْ: أَوْقِعْ أَيُّهَا المخَاطَبُ. وَقِيلَ: هُوَ أَمْرٌ حَقِيقَةً لا تَعَجُّبٌ، وَأَنَّ الهَاءَ تَعُودُ عَلَى الهُدَى المفْهُومِ مِن الكَلَامِ))[٨٤]. وَيُفْهَمُ مِن كَلَامِهِ فِي مَوضِعٍ آخَرَ

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

أَنَّ سَبَبَ زِيَادَتِهَا زِيَادَةً لازِمَةً، عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ، هُوَ إِصْلَاحُ اللَّفْظِ بِالتَّمْيِيزِ بَيْنَ (أَفْعِلْ) عِنْدَمَا يَكُونُ فِعْلَ تَعَجُّبٍ وَالفَاعِلُ مَعَه هُوَ المَجْرُورُ بِالبَاءِ الزَّائِدَةِ اللَّازِمَةِ، وَ(أَفْعِلْ) الَّذِي يَكُونُ فِعْلَ أَمْرٍ، وَفَاعِلُه –عِنْدَئِذٍ– ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ وُجُوبًا؛ قَالَ: ((قَولُه تَعَالَى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾[٨٥]: هَذَا لَفْظُهُ أَمْرٌ وَمَعْنَاهُ التَعَجُّبُ، وَأَصَحُّ الأَعَارِيبِ فِيهِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ النَّحْوِ: أَنَّ فَاعِلَهُ هُوَ المَجْرُورُ بِالبَاءِ، وَالبَاءُ زَائِدَةٌ، وَزِيَادَتُهَا لازِمَةٌ ***إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ***، لأَنَّ أَفْعِلْ أَمْرًا لا يَكُونُ فَاعِلُه إِلَّا ضَمِيرًا مُسْتَتِرًا، وَلَا يَجُوزُ حَذْفُ هَذِهِ البَاءِ إِلَّا مَعَ أَنْ وأَنَّ، ...، فَالمَجْرُورُ مَرْفُوعُ المحلِّ، وَلَا ضَمِيرَ فِي أَفْعِلْ))[٨٦]. وَهَذَا مَا أَكَّدَه ابنُ هِشَامٍ أَيْضًا فِي تَحْلِيلِه صِيغَةَ التَّعَجُّبِ عَلَى رَأْيِ جُمْهُورِ النَّحْوِيِّينَ الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ (أَفْعِلْ) فِي هَذِهِ الصِّيغَةِ فِعْلُ أَمْرٍ مَعْنَاه الخَبَرُ؛ إِذْ قَالَ: (( فِي نَحْوِ أَحْسِنْ بِزَيْدٍ فِي قَولِ الجُمْهُورِ إِنَّ الأَصْلَ أَحْسَنَ زَيْدٌ بِمَعْنَى: صَارَ ذَا حُسْنٍ، ثُمَّ غُيِّرَتْ صِيغَةُ الْخَبَرِ إِلَى الطَّلَبِ وَزِيدَتِ الْبَاءُ إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ))[٨٧].

وَمِن مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِه (كَانَ) فِي قَولِ الشَّاعِرِ[٨٨]:

فَكَيْفَ إِذَا مَرَرْتُ بِدَارِ قَوْمٍ .... وَجِيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامِ

فَقَد بَيَّنَ ابْنُ هِشَامٍ أَنَّ (كَانَ) فِي هَذَا البَيْتِ زَائِدَةٌ إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ، قَالَ: ((فَقِيلَ الأَصْلُ هُم لَنَا ثُمَّ وُصِلَ الضَّمِيرُ بِ(كان) الزَّائِدَةِ ***إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ*** لِئَلَّا يَقَعَ الضَّمِيرُ الْمَرْفُوعُ الْمُنْفَصِلُ إِلَى جَانِبِ الْفِعْلِ))[٨٩]. وَنَقَلَ الشَّيخُ خَالِدُ الأَزْهَرِي هَذَا التَّحْلِيلَ مِن غَيْرِ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ، آخِذًا بِفِكْرَةِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ، قَالَ: ((فَقِيلَ الأَصْلُ هُم لَنَا ثُمَّ وُصِلَ الضَّمِيرُ بِ(كان) الزَّائِدَةِ ***إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ*** لِئَلَّا يَقَعَ الضَّمِيرُ الْمَرْفُوعُ الْمُنْفَصِلُ إِلَى جَانِبِ الْفِعْلِ، وَقِيلَ بَل الضَّمِيرُ تَوكِيدٌ لِلْمُسْتَتِرِ فِي لَنَا عَلَى أَنَّ لَنَا صِفَةٌ لِجِيرَان ثُمَّ وُصِلَ لما ذُكِر))[٩٠].

وَقَدْ شَرَحَ البَغْدَادِيُّ (ت ١٠٩٣هـ) هَذَا التَّوْجِيهَ، قَالَ: ((لَنَا: قِيلَ: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ ثُمَّ اخْتُلِفَ عَلَى قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّه خَبَرُ مُبْتَدأ وَالْأَصْلُ: لَنَا هُم ثمَّ زِيدَتْ كَانَ بَينهمَا فَصَارَ لَنَا كَانَ هُم ثمَّ وُصِلَ الضَّمِيرُ ***إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ*** لِأَنَّهُ لَا يَصحُّ وُقُوعُه مُنْفَصِلا إِلَى جَانِبِ فِعْلٍ غَيْرِ مُشْتَغِلٍ بِمَعْمُولٍ. وَالثَّانِي: أَنّه خَبَرٌ لَكَانَ وَأَنَّهَا نَاقِصَة وَهُوَ قَولُ الْمُبَرِّدِ وَجَمَاعَةٍ وَعَلِيهِ فَالجُمْلَةُ صِفَةٌ لجِيرَان وَتَقَدَّمت عَلَى الصِّفَةِ الْمُفْرَدَة وَالْأَكْثَرُ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمُ الْمُفْرَدَةِ))[٩١]. وَقَالَ الصَّبَّانُ (ت١٢٠٦هـ) مُوَضِّحًا هَذَا الوَجْهَ: ((الأَصْلُ هُم لَنَا ثُمَّ قُدِّمَ الخَبَرُ وَوُصِلَ الضَّمِيرُ بِكَانَ الزَّائِدَةِ ***إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ*** لِئَلَّا يَقَعَ الضَّمِيرُ الْمَرْفُوعُ الْمُنْفَصِلُ بِجَانِبِ الفِعْلِ))[٩٢].

وَمِن إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ زِيَادَةُ (مَا) فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٩٣]، قَالَ السَّمِينُ الحَلَبِيُّ: ((وَاللَّامُ فِي (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) جَوَابُ قَسَمٍ مُضْمَرٍ، وَالجُمْلَةُ مِن القَسَمِ وَجَوَابِهِ صِلَةٌ لِلمَوصُولَ، وَالتَّقْدِيرُ: وَإِن كُلاً لَلذين واللَّه ليوفيَّنهم. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هُنَا نَكِرَةً مَوْصُوفَةً، وَالجُمْلَةُ القَسَمِيَّةُ وَجَوَابُهَا صِفَةٌ لـ(مَا) وَالتَّقْدِيرُ: وَإِن كُلاً لخَلْقٌ أَوْ لَفَرِيقٌ وَاللَّهِ لَيُوفِّيَنَّهم، وَالْمَوصُولُ وَصِلَتُه أَوْ الْمَوصُوفُ وَصِفَتُه خَبَرٌ لـ (إِنْ). وَقَالَ بَعْضُهُم: اللَّامُ الأُوْلَى هِيَ الْمُوَطِّئَةُ لَلقَسَمِ، وَلما اجْتَمَعَ اللَّامَانِ، وَاتَّفَقَا فِي اللَّفْظِ فُصِلَ بَيْنَهُمَا بـ(مَا) كَمَا فُصِلَ بِالأَلِفِ بَيْنَ النُّونَيْنِ فِي (يَضْرِبْنانِّ)، وَبَيْنَ الهَمْزَتَيْنِ فِي نَحْو: (أَأَنْتَ). فَظَاهِرُ هَذِه العِبَارَةِ أَنَّ (مَا) هُنَا زَائِدَةٌ جِيءَ بِهَا للفَصْلِ ***إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ*** ...))[٩٤]. وَمِن الْمُفيدِ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ بَعْضَ النَّحْوِيِّينَ قَد وَجَّهُوا (مَا) فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ عَلَى أَنَّهَا زَائِدَةٌ جِيءَ بِهَا لِلفَصْلِ بَيْنَ اللَّامَينِ؛ قَالَ العُكْبَرِيُّ: ((وَ(مَا) خَفِيفَةٌ زَائِدَةٌ لِتَكُونَ فَاصِلَةً بَيْنَ لَامِ إِنَّ وَلَامِ الْقَسَمِ كَرَاهِيَةَ تَوَالِيهِمَا، كَمَا فَصَلُوا بِالْأَلِفِ بَيْنَ النُّونَاتِ فِي قَوْلِهِمْ: أَحْسِنَانَّ عَنِّي))[٩٥]. وَوَاضِحٌ مِن كَلَامِ النَّحْوِيِّينَ هُنَا أَنَّ وَجْهَ ***إِصْلَاحِ اللَّفْظِ*** فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَتَمَثَّلُ فِي التَّخَلُّصِ مِن الثِّقَلِ الصَّوْتِيِّ النَّاتِجِ مِن اجْتِمَاعِ اللَّامَيْنِ، وَهُوَ أَمْرٌ وَصَفُوهُ هُم بِالْمُسْتَكْرَهِ، وَمِن ثَمَّ فَقَدْ لَجَأَتِ اللُّغَةُ إِلَى الفَصْلِ بَيْنَهُمَا بـ(مَا) الزَّائِدَةِ تَوَصُّلًا إِلَى النُّطْقِ بِهِمَا وَتَحْسِينًا لَهُ، مَعَ الحِفَاظِ عَلَى الدَّلَالَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ لِلنَّصِّ.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

وَيُسْتَفَادُ مِن نَصِّ كَلَامِ السَّمِينِ الحَلَبِيِّ الإِشَارَةُ إِلَى مَظْهَرٍ لُغَوِيٍّ آخَرَ مِن مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ، وَهُوَ إِقْحَامُ الأَلِفِ بَيْنَ نُونِ النِّسْوَةِ وَنُونِ التَّوْكِيدِ الثَّقِيلَةِ، فِي نَحْو: يَضْرِبْنَانِ، فَقَدْ جِيْءَ بِهَذِهِ الأَلِفُ لِئَلَّا تَجْتَمِعَ ثَلَاثُ نُونَاتٍ، لأَنَّهُ لا يَجُوزُ حَذْفُ إِحْدَى تِلْكَ النُّونَاتِ لأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى اللَّبْسِ، إِذْ تَشْتَبِهُ –عِنْدَ حَذْفِهَا– بِالفِعْلِ الْمُضَارِعِ غَيْرِ الْمُسْنَدِ إِلَى نُونِ النِّسْوَةِ.

وَمِن صُوَرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ العُدُولُ عَن الضَّمِيرِ إِلَى الظَّاهِرِ، وَقَدْ وَرَدَتْ الإِشَارَةُ إِلَى هَذِهِ الصُّورَةِ فِي شَرْحِ ابْنِ حجرِ العَسْقَلَانِيّ الحَدِيثَ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ: ((مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ))[٩٦]؛ إِذْ قَالَ فِي شَرْحِهِ: ((وَفِي قَوْلِهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ الْعُدُولُ عَنِ الضَّمِيرِ إِلَى الظَّاهِرِ تَفْخِيمًا وَتَعْظِيمًا وَدَفْعًا لِتَوَهُّمِ عَوْدِ الضَّمِيرِ عَلَى الْمَوْصُولِ لِئَلَّا يَتَّحِدَ فِي الصُّورَةِ الْمُبْتَدَأُ وَالْخَبَرُ فَفِيهِ ***إِصْلَاحُ اللَّفْظِ*** لِتَصْحِيحِ الْمَعْنَى وَأَيْضًا فَعَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ قَلِيلٌ))[٩٧]. وَمَعْنَى هَذَا الكَلَامِ أَنَّ اسْتِعْمَالَ الضَّمِيرِ فِي الحَدِيثِ بِأَنْ يُقَالَ: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّهُ اللهُ) يُؤَدِّي إِلَى احْتِمَالِ دَلالَتَيْنِ، لأَنَّ الضَّمِيرَ (الهَاء) يَحْتَمِلُ أَنَّ يَرْجِعَ عَلَى (اللِّقَاءِ) كَمَا يَحْتَمِلُ الرُّجُوعَ عَلَى (العَبْدِ)، فِي حين أَنَّ الحَدِيثَ اسْتَعْمَلَ الظَّاهِرَ فَقَالَ: (أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ)، إِصْلَاحًا لِلَّفْظِ وَدَفْعًا لِلَّبْسِ. وِيُمْكِنُنَا وَصْف هَذَا النَّوعِ مِن إِصْلَاحِ اللَّفْظِ بِأَنَّهُ طَارِئٌ وَلَيْسَ دَائِمًا، كَمَا فِي الحَالاتِ السَّابِقَةِ، وَالغَرَضُ مِنْهُ دِقَّةُ التَّعْبِيرِ وَبَلاغَةُ دَلَالَتِهِ وَسَلَامَتُهُ مِن اللَّبْسِ.

وَمِن مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ اسْتِعْمَالُ (إِيَّا) وُصْلَةً مَعَ الضَّمَائِرِ لِتَحْسِينِ اللَّفْظِ؛ أَيْ لِغَرَضِ تَحْسِينِ النُّطْقِ بِالضَّمِيرِ، قَالَ الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِيُّ (ت ٤٠٠ هـ): ((قَالَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ: (إِيَّاكَ) كُلُّهُ اسْمٌ وَاحِدٌ. وَقَالَ بَعْضُهُم: (الكَافُ) هُوَ الاسْمُ. وَ(إِيَّا): وُصْلَةٌ لَهُ. وَهَذَانِ لا تَنَافِيَ بَيْنَهُمَا فِي الحَقِيقَةِ، لأَنَّ ذَلِكَ بِنَظَرَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، وَذَاكَ أَنَّ الضَّمِيرَ الْمُتَّصِلَ إِذَا قُدِّمَ أَوْ فُصِلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُتَّصِلِ بِهِ لا يَحْسُنُ النُّطْقُ بِهِ مُفْرَدًا، فَضَمَّ إِلَيْهِ: (إِيَّا) لِيَصِيرَ بِذَلِكَ كَلَامًا مُسْتَقِلًّا. فَمَن قَالَ: الضَّمِيرُ هُوَ الكَافُ، فَإِنَّمَا اعْتَبَرَ بِذَلِكَ بَعْدَ انْضِمَامِ (إِيَّا) إِلَى الضَّمِيرِ. وَالعَرَبُ كَمَا أَنَّهُم يَتَحَرَّوْنَ بِالحُرُوفِ الْمُرَكَّبَةِ إِفَادَةَ الْمَعْنَى، فَقَدْ يَأْتُونَ بِبَعْضِهَا ***تَهْذِيبًا لِلَّفْظِ وَتَحْسِينًا لَهُ***، بِدَلالَةِ إِدْخَالِهِم الحُرُوف بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ الْمُتَنَافِرَيْنِ فِي التَّرْكِيبِ، لِئَلَّا يَقْبُحُ التَّفَوُّهُ بِهِمَا. وَذَلِكَ قَدْ أُشْبِعَ الكَلَامُ فِيهِ فِي غَيرِ هَذَا الكِتَابِ. فـ(إِيَّا): جُعِلَ وُصْلَةً ***لِتَحْسِينِ اللَّفْظِ*** بِالضَّمِيرِ إِذَا قُدِّمَ لما لَمْ يَحْسُنْ أَنْ يُقَالَ: ك أَلْزَمْتُ. وَهُ ضَرَبْتُ))[٩٨]. وَقَدْ شَبَّهَ الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِيُّ هَذَا التَّحْلِيلَ اللُّغَوِيَّ لاسْتِعْمَالِ (إِيَّا) وَالغَايَةُ مِنْهَا بِاسْتِعْمَالِ (ذُو وَذَا وَذِي) عِنْدَ الوَصْفِ بِاسْمِ جِنْسٍ، مِثْل: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ ذِي مَالٍ، وَاسْتِعْمَالُ الأَسْمَاءِ الْمَوصُولَةِ تَوَصُّلًا إِلَى وَصْفِ الْمَعَارِفِ بِالجُمَلِ –وَقَد مَرَّ الكَلَامُ عَلَيْهَا– مِثْل: جَاءَ الرَّجُلُ الَذِي أَنْشَدَ القَصِيدَةَ، وَاسْتِعْمَالُ لَفْظِ (مثل) مَعَ حَرْفِ التَّشْبِيهِ: (الكَاف) فِي نَحْو: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لأَنَّهُ لايَجُوزُ القَولُ: لَيْسَ كَهُ شَيْءٌ؛ قَالَ الرَّاغِبُ: ((كَمَا أَتَوْا بـ (ذِي) لما أَرَادُوا الوَصْفَ بِاسْمِ الجِنْسِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِم: (مَرَرْتُ بِرَجُلٍ ذِي مَالٍ). وَأُتِيَ بـ (الَّذِي) لما أُرِيدَ أَنْ تُوصَفَ بِالمعْرِفَةِ بِالجُمَلِ. وَعَلَى ذَلِكَ أَتَى (مِثْل) مَعَ (الكَاف) فِي نَحْو كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لما لَمْ يَحْسُنْ إِدْخَالُ الكَافِ عَلَى الضَّمِيرِ، فَيُقَالُ: كَلَكَ، وكَهُ))[٩٩].

وَمِن صُوَرِ تَحْسِينِ اللَّفْظِ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ اسْتِعْمَالُ اللَّامِ فِي نَحْو: (لَا أَبَا لَكَ، وَلَا أَخَا لَكَ)، فَقَد وَجَّهَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ هَذِهِ اللَّامَ عَلَى أَنَّهَا زَائِدَةٌ جِيْءَ بِهَا تَحْسِينًا لِلَّفْظِ حَتَّى لا تَدْخُلَ لا النَّافِيَةُ للجِنْسِ– الَّتِي مِن شُرُوطِ عَمِلِهَا كَونُ اسْمِهَا نَكِرَةً لإِفَادَةِ عُمُومِ النَّفْيِ– عَلَى مَعْرِفَةٍ بِالإِضَافَةِ، قَالَ السُّيُوطِيُّ(ت ٩١١ هـ): ((وأما قَوْلهم لَا أَبَا لَك وَلَا أَخا لَك وَلَا يَدي لَك وَلَا غلامي لَك، ...، فَفِيهِ أَقْوَال أَحدهَا وَعَلِيهِ الْجُمْهُور أَنَّهَا أَسمَاء مُضَافَة إِلَى الْمَجْرُور بِاللَّام وَاللَّام زَائِدَة لَا اعْتِدَاد بهَا وَلَا تعلق وَالْخَبَر مَحْذُوف وَالْإِضَافَة غير مَحْضَة كهي فِي: مثلك وَغَيْرك؛ لِأَنَّهُ لم يُقْصد فِي: أَب أَو أَخ مُعَيَّن، فَلَمْ تَعْمَلْ (لَا) فِي مَعْرِفَة، وَزِيدَتِ اللَّامُ ***تَحْسِينًا لِلَّفْظِ*** لِئَلَّا

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

تَدْخُلَ لَا عَلَى مَا ظَاهِرُه التَّعْرِيف. الثَّانِي أَنَّهَا أَسْمَاءٌ مُفْرَدَة غَيْرُ مُضَافَةٍ عُومِلَتْ مُعَاملَة الْمُضَافِ فِي الْإِعْرَابِ، وَالْمَجْرُورُ بِاللَّامِ فِي مَوضِعِ الصِّفَةِ لَهَا وَهِيَ مُتَعَلقَةٌ بِمَحْذُوف وَالْخَبَرُ أَيْضًا مَحْذُوفٌ، ...، . الثَّالِث أَنَّهَا مُفْرَدَةٌ جَاءَتْ عَلَى لُغَةِ الْقَصْرِ وَالْمَجْرُورُ بِاللَّامِ هُوَ الْخَبَر، ...، وَإِنَّمَا اخْتَرْتُهُ لِسَلَامَتِهِ مِن التَّأْوِيلِ وَالزِّيَادَةِ وَالحَذْفِ وَكلُّهَا خِلَافُ الأَصْلِ وَكَانَ الْقيَاسُ فِي هَذِه الْأَلْفَاظِ لَا أَب لَك وَلَا أَخ لَك وَلَا يدين لَك ))[١٠٠]. وَقَدْ نَقَلْنَا هَذِهِ الأَوْجُهَ الَّتِي ذَكَرَهَا السُّيُوطِيُّ وَاخْتَارَ مِنْهَا الوَجْهَ الأَخِيرَ لأَنَّ فِيهِ إِشَارَةً إِلَى رَدِّ القَوْلِ بِالزِّيَادَةِ بِحُجَّةِ تَحْسِينِ اللَّفْظِ؛ لأَنَّهَا بِخِلَافِ الأَصْلِ، مِمَّا يَعْنِي أَنَّ تَحْسِينَ اللَّفْظِ هُنَا إِنَّمَا ارْتَبَطَ بِوَجْهٍ نَحْوِيٍّ أَرَادَ تَأْوِيلَ النَّصِّ بِمَا لَا يَتَعَارَضُ مَعَ قَوَاعِدِهِ وَيُعَلِّلُهَا تَعْلِيلًا لُغَوِيًّا لَفْظِيًّا كَمَالِيًّا وَلَيْسَ مَعْنَوِيًّا.

وَمِن أَشْكَالِ تَحْسِينِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ تَنْوِينُ العِوَضِ الَّذِي يَلْحَقُ (إِذْ)؛ قَالَ الأُسْتَاذُ مَحْمُودُ صَافِي (ت ١٣٧٦هـ): ((التَّنْوِينُ الَّذِي يَلْحَقُ (إِذْ) عِنْدَ مَا تَتَّصِلُ بِاليَومِ أَوْ الحِينِ وَمَا فِي زُمْرَتِهِمَا كَالوَقْتِ وَالسَّاعَةِ وَالقَرْنِ إِلَى آخِرِ مَا هُنَالِكَ مِن هَذِهِ الأُسْرَةِ، نَحْو يَوْمَئِذٍ وَحِينَئِذٍ وَسَاعَتَئِذٍ، وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ النُّحَاةُ تَنْوِينَ العِوَضِ لأَنَّهُ حَلَّ مَحَلَّ الجُمْلَةِ الَّتِي كَانَ حَقُّهَا أَنْ تُذْكَرَ بَعْدَ الظَّرْفِ وَبِالتَّالِي يُضَافُ الظَّرْفُ إِلَيْهَا وَهُوَ ضَرْبٌ مِن الإِيْجَازِ الَّذِي اسْتَأْثَرَتْ بِهِ لُغَةُ الضَّادِ وَغَايَتُهُ ***تَحْسِينُ اللَّفْظِ*** إِلَى جَانِبِ الاخْتِصَارِ))[١٠١].

يَخْلُصُ الْمُتَأَمِّلُ فِي مَظَاهِرِ إِصْلَاحِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ وَتَحْسِينِهِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ إِلَى أَنَّهُ مُصْطَلَحٌ لُغَوِيٌّ وَاسِعٌ يُرِيدُ بِهِ النَّحْوِيُّونَ الْمَسَالِكَ اللُّغَوِيَّةَ الَّتِي تَسْلُكُهَا اللُّغَةُ أَوْ مُتَكَلِّمُوهَا لِغَرَضِ تَحْسِينِ اللَّفْظِ وَتَجْمِيلِهِ وَتَزْيِينِهِ فِي بَعْضِ الجَوَانِبِ الصَّوتِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ، طَلَبًا لِلخِفَّةِ أَوْ الانْسِجَامِ الصَّوْتِيِّ خَاصَّةً وَاللُّغَوِيِّ عِامَّةً، أَوْ سَعْيًا إِلَى إِزَالَةِ اللَّبْسِ وَدِقَّةِ الْمَعْنَى. كَمَا لا تَفُوتُنِي الإِشَارَةُ هُنَا إِلَى أَنَّ التَّأْوِيلَ النَّحْوِيَّ القَائِمَ عَلَى التَّقْدِيرِ وَالتَّخَيُّلِ كَانَ سَبَبًا فَاعِلًا فِي إِدْرَاجِ بَعْضِ تِلْكَ الْمَسَائِلِ فِي هَذَا البَابِ؛ وَذَلِكَ لأَنَّ النَّحْوِيِّينَ لَمْ يَنْطَلِقُوا فِي نَظَرِهِم إِلَى تِلْكَ الْمَسَائِلِ وَمُعَالَجَتِهَا مِن الوَاقِعِ اللُّغَوِيِّ وَإِنَّمَا اسْتَنَدُوا إِلَى الافْتِرَاضِ النَّحْوِيِّ الْمُتَخَيَّلِ، وَمِن ذَلِكَ مَثَلًا، مَسْأَلَةُ: اسْتِعْمَالُ الفَاءِ فِي نَحْو: أَمَّا زَيْدٌ فَمُنْطَلِقٌ، لأَنَّهُم افْتَرَضُوا أَصْلًا غَيْرَ مُسْتَعْمَلٍ فِي كَلَامِ العَرَبِ بَنَوْا عَلَيْهِ القَوْلَ بِإِصْلَاحِ اللَّفْظِ، وَهُوَ: أَمَّا فَزَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، وَهُوَ تَرْكِيبٌ غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ، دَفَعَهُم إِلَى ذَلِكَ تَفْسِيرُهُم مِثْلَ هَذَا التَّرْكِيبِ بِـ: مَهْمَا يَكُنْ مِن شَيْءٍ فَزَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، وَهُوَ تَفْسِيرُ مَعْنًى وَلَيْسَ مَرحَلَةً لُغَوِيَّةً تَارِيخِيَّةً مُسْتَعْمَلَةً سَابِقًا. وَقَدْ يَكُونُ القَولُ بِإِصْلَاحِ اللَّفْظِ نَاتِجًا مِن الرَّبْطِ بَيْنَ أَدَاتَيْنِ أَوْ تَرْكِيبَيْنِ مُسْتَعْمَلَيْنِ فِي كَلَامِ العَرَبِ بِعَلَاقَةٍ مُفْتَرَضَةٍ مُتَخَيَّلَةٍ لا يُؤَيِّدُهَا دَلِيلٌ، كَمَا فِي كَلَامِهِم عَلَى (كَأَنَّ) الَّذِي قَادَهُم إِلَى القَوْلِ بِإِصْلَاحِ اللَّفْظِ فِيهَا؛ وَذَلِكَ بِأَنَّ أَصْلَهَا هُوَ: كَافُ التَّشْبِيهِ وَإِنَّ، عَلَى النَّحْو الآتِي: إِنَّ زَيْدًا كَالأَسَدِ. وَهَذَا شَيْءٌ لَا يَدْعَمُه دَلِيلٌ لُغَوِيٌّ وَعِلْمِيٌّ مِن تَارِيخِ اللُّغَةِ، فِي حِين تَبْدُو غَايَةُ تَحْسِينِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ وَاضِحَةً فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ اللُّغَوِيَّةِ الأُخْرَى، حَيْثُ كَانَ وَجْهُ الإِصْلَاحِ يَتَمَثَّلُ بِإِضْفَاءِ لَمْسَةٍ لُغَوِيَّةٍ جَمَالِيَّةٍ، عَن طَرِيقِ الارْتِكَازِ عَلَى صَوْتٍ لُغَوِيٍّ مَا جِيْءَ بِهِ لِتَزْيِينِ اللَّفْظِ، كَمَا فِي مَسْأَلَةِ: زَيْدٌ فَأَكْرِمْ، وَفَقَط، وَفَحَسب، وَغَير ذَلِكَ.

هَوَامِشُ البَحْثِ:

١ ينظر: العين: ٣/ ١١٧، وجمهرة اللغة: ١/ ٥٤٢، وتهذيب اللغة: ٤/ ١٤٢، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١/ ٣٨٣، ومجمل اللغة: ٥٣٩، ومقاييس اللغة: ٣/ ٣٠٣، والمحكم والمحيط الأعظم: ٣/ ١٥٢، وأساس البلاغة: ١/ ٥٥٤، ولسان العرب: ٢/ ٥١٧، والقاموس المحيط: ٢٢٩، تاج العروس: ٦/ ٥٤٧-٥٤٨، والمعجم الوسيط: ١/ ٥٢٠. مادة (صلح).

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

٢ ينظر: العين: ٧/ ٣٨٧، وتهذيب اللغة: ١٣/ ١٧٤- ١٧٥، ومجمل اللغة: ٤٤٦، ومقاييس اللغة: ٣/ ٤١، وأساس البلاغة: ١/ ٤٢٩، ولسان العرب: ١٣/ ٢٠١- ٢٠٢، والقاموس المحيط: ١٢٠٤، وتاج العروس: ٣٥/ ١٦١- ١٦٢، وفي: المفردات في غريب القرآن للراغب: ٣٩٠: ((وتَزْيِينُ اللّهِ للأشْياءِ قد يكونُ بإبْداعِها مُزَيَّنَة وإيجادِها كذلِكَ، وتَزْيِينُ الناسِ للشَّيْء بتَزْويقِهم أَو بقَوْلِهم، وَهُوَ أنْ يَمْدَحُوه ويَذْكُروه بِمَا يرفع مِنْهُ)). مادة (زين).

٣ تُنظر هذه الظواهر اللغوية التي تؤدي إلى الانسجام اللغوي في: أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، د. فدوى محمد حسان: ٨٥- ٣٩٢.

٤ الصناعتين: الكتابة والشعر: ٥٨. وينظر فيه: ٦٩، ١٩٥، ٣٩١ أيضًا.

٥ سورة فصلت، الآية: ٢١.

٦ سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

٧ سورة النساء، الآية: ٤٣.

٨ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: ٢٠٠-٢٠١. ومن استعمال تحسين اللفظ بمعنى الكناية ما ورد في: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٠٧.

٩ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٣/ ١٤.

١٠ المصدر نفسه: ٣/ ١١٧.

١١ الدر المصون: ١/ ٧٦. وينظر فيه أيضا: ٥/ ٣٠١، واللباب في علوم الكتاب: ١/ ٢٢٤.

١٢ سورة الزخرف، الآية: ٧٧.

١٣ تنسب هذه القراءة إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وابن مسعود ويحيى والأعمش، ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٤٢٠، والمحتسب: ٢/ ٢٥٧، والكشاف: ٤/ ٢٦٤، والمحرر الوجيز: ٥/ ٦٤، وزاد المسير: ٤/ ٨٤، ومفاتيح الغيب: ٢٧/ ٦٤٤، والبحر المحيط: ٩/ ٣٨٩، والدر المصون: ٩/ ٦٠٧، واللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٢٩٤.

١٤ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: ٨/ ٧٤٤.

١٥ سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

١٦ موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: ١٧٢.

١٧ لجران العود، في ديوانه: ٩٧، ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. اميل بديع يعقوب ٢٨٤/١٠.

١٨ الكليات: ٩٢١.

١٩ الكليات: ٤٨٧-٤٨٨.

٢٠ سورة الأحزاب، الآية: ١٠.

٢١ سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.

٢٢ سورة الفجر، الآية: ٤.

٢٣ سورة الرعد، الآية: ٩.

٢٤ فقه اللغة وسر العربية: ٢٣١.

٢٥ سورة الأحزاب، الآية: ١٠.

٢٦ سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.

٢٧ المفردات في غريب القرآن: ١٠٥.

٢٨ الخصائص: ١/ ٣١٣.

٢٩ سر صناعة الإعراب: ١/ ٢٧٧.

٣٠ الخصائص: ١/ ٣٢٢.

٣١ الخصائص: ١/ ٣٢٢.

٣٢ الكتاب لسيبويه ٤/ ٢٨٩.

٣٣ شرح شافية ابن الحاجب: ١/ ٤٩، وفي: المفتاح في الصرف: ٣٤-٣٥: ((ولا يتوالى في كلام العرب أربعة أحرف متحركات، إلاَّ أنْ يكونَ محذوفاً منه شيء)).

٣٤ الخصائص: ١/ ٣٢١.

٣٥ المغرب في ترتيب المعرب: ٥٤٣.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

٣٦ الخصائص: ١/ ٣٢٠-٣٢١.

٣٧ الأصول في النحو: ٣/ ٣٥٣. وينظر: الكتاب لسيبويه ٢/ ٢٦٠، والمنصف لابن جني: ٣٥ -٣٦، والمخصص: ٤/ ٤٢١، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي الأستراباذي: ٢/ ٣٣٠-٣٢٣.

٣٨ المفصل في صنعة الإعراب: ٥٠٢.

٣٩ الشافية في علم التصريف: ١/ ٧٠.

٤٠ شرح شافية ابن الحاجب لركن الدين الاستراباذي: ٢/ ٥٧٧.

٤١ الخصائص: ١/ ٣٢١. وفي: الكتاب: ٤/ ٣٠٣: ((وتلحق الألف سادسة لغير التأنيث فيكون الحرف على مثال فعللى، وهو قليل)).

٤٢ اللمع في العربية لابن جني: ٢١

٤٣ الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ١٩، وينظر: أسرار العربية: ٦٨، ٢٥٨، والمخصص: ٥/ ١٨٣، وشرح شذور الذهب للجوجري ١/١٨٤- ١٨٥، وشرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٥١٣.

٤٤ الخصائص: ١/ ٣١٤-٣١٥.

٤٥ شرح المفصل: ٣/ ٢٥٤- ٢٥٥، وينظر: النحو الوافي: ١/ ٣٤٧، (الهامش).

٤٦ النحو الوافي ١/ ٣٤٧.

٤٧ ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى: ١٠٢، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك: ١/ ١٥٠، وحاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١/ ٢٣٩. وفي: النحو الوافي: ١/ ٣٥٦، ((والمراد هنا بالمشتقات الصريحة ،أي: الصفات الصريحة: اسم الفاعل، واسم المفعول، اتفاقا وفي الصفة المشبهة خلاف ... لأنهما يدلان على الحدث والتجدد كالفعل. أما الصفة المشبهة وباقي المشتقات فتدل على الثبوت، فهي بعيدة من الفعل، قريبة من الأسماء الجامدة. ومن ثم كانت (أل) الداخلة على (أفعل التفضيل) للعهد، وليست موصولة..)).

٤٨ النحو الوافي: ١/ ٣٥٦.

٤٩ جاء في: الكتاب: ٣/ ١٣٧: ((مهما يكن من شيء فإنَّك ذاهبٌ)).

٥٠ المفصل في صنعة الإعراب: ٤٤٣، وينظر: الكشاف: ١/ ١١٧، وأنوار التنزيل: ١/ ٦٣، ومدارك التنزيل: ١/ ٧٣، والبحر المحيط: ١/ ١٩٢، ومغني اللبيب: ٨٢، والبرهان في علوم القرآن: ٤/ ٢٤٢، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ١٩٧، ومعترك الأقران: ٢/ ٦٤، وهمع الهوامع: ٢/ ٥٨٠، والكليات: ١٨٣.

٥١ الخصائص: ١/ ٣١٣- ٣١٤. وفي: سر صناعة الإعراب: ١/ ٢٧٧، ذكر التوجيهَ نفسَه منسوبًا إلى أبي علي الفارسي.

٥٢ الجنى الداني في حروف المعاني: ٥٢٢. وينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٣/ ١٣٠٥، والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٧٠.

٥٣ شرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٤٢٩.

٥٤ المقتضب: ٢/ ٣٤٣.

٥٥ شرح الأشموني: ١/ ٣٠٥، وينظر: الكتاب: ٣/ ١٥٠، ومعاني القرآن للفراء: ١/ ٤٦٦، ومعاني القرآن للأخفش: ١/ ١٠٧، وتفسير الطبري: ١٢/ ٤٢، والأصول في النحو ١/ ٢٥٩، وإعراب القرآن المنسوب خطأ للزجاج: ٣/ ٩٤٠، الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ١٧٣، والدر المصون: ١/ ٢٥، واللباب في علوم الكتاب: ١/ ١٣٨، والصحاح: ٦/ ٢١٩٧، ولسان العرب: ١٣/ ٣٩٣، وهمع الهوامع: ١/ ٥٠٩، وخزانة الأدب:١٠/ ٣٣٨،وتاج العروس: ٣٦/ ١٣٣-١٣٤، وحاشية الصبان: ١/ ٤١٢.

٥٦ الخصائص: ١/ ٣١٥-٣١٨،

٥٧ سر صناعة الإعراب: ٢/ ٤٩-٥٢.

٥٨ الكتاب: ٣/ ١٥١. وينظر: الأصول في النحو ١/ ٢٣٠، وتأويل مشكل القرآن: ٢٨١، والمحكم والمحيط الأعظم:١٠/ ٤٧٥، وتهذيب اللغة: ١٠/ ٢٠٦، ومغني اللبيب: ٢٥٢، والجنى الداني: ٥٦٨، وشرح الرضي: ١٨١٤، ولسان العرب: ١٣/ ٣٣، وشرح التصريح: ١/ ٢٩٤، وهمع الهوامع: ١/ ٤٨٧.

٥٩ الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ١٦٠.

٦٠ مغني اللبيب: ٢٥٢.

٦١ اللباب في علل البناء والإعراب: ١/ ٢٠٥.

٦٢ الخصائص: ١/ ٣١٨.

٦٣ الكتاب: ١/ ٣٢٨.

٦٤ الأصول في النحو: ١/ ٥٩.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

٦٥ الخصائص: ١/ ٣١٨.

٦٦ شرح الأشموني: ١/ ١٩٢.

٦٧ الخصائص: ١/ ٣٢٢.

٦٨ دلائل الإعجاز: ١/ ٢٠٠.

٦٩ اللباب في علل البناء والإعراب: ٢/ ١١٣.

٧٠ ينظر: الكتاب: ١/ ١٨٠، ومعاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٢٢، والمقتضب: ٤/ ٢٢٩، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ١٧٧، وإعراب القرآن للنحاس: ٣/ ١٧٩، وإعراب القرآن للباقولي المنسوب خطأ للزجاج: ٢/ ٦٨١، والمفصل في صنعة الإعراب: ١٣٣، والتبيان في إعراب القرآن: ٢/ ١٠٣٦، وتوضيح المقاصد: ٢/ ٨٢١، وشرح الأشموني: ٢/ ١٧٨، وحاشية الصبان:٢/ ٤١٤، وجامع الدروس العربية: ٣/ ٢١٣.

٧١ الخصائص: ٢/ ٤١١.

٧٢البحر المحيط: ١/ ٢٨٣- ٢٨٤.

٧٣ الدر المصون:١/ ٣١٤، وينظر: مغني اللبيب:٢٢١، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١/ ٦٧، واللباب في علوم الكتاب: ٢/ ١٢، وإعراب القرآن وبيانه: ١/ ٩١.

٧٤ النحو الوافي ١/ ٧٠٤، وينظر: حاشية الصبان: ١/ ١٣٢، ومنحة الجليل بهامش شرح ابن عقيل: ١/ ٦٦، وضياء السالك إلى أوضح المسالك: ١/ ٧٧.

٧٥ للنابغة الذّبياني، في ديوانه: ٢٤، ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. اميل بديع يعقوب: ٢/ ٤٢١.

٧٦ حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، بهامش تفسير: الكشاف: ٣/ ٧.

٧٧ تاج العروس: ٢٠/ ٤٦، وينظر:مختصر مغني اللبيب: ٧٢، والتطبيق النحوي: ٤٢١.

٧٨ حاشية الخضري: ١/ ١٨٠، وينظر: النحو الوافي: ١/ ٤٢٢، وضياء السالك إلى أوضح المسالك: ١/ ١٨٠.

٧٩ شرح التصريح: ١/ ٧٢٣، وينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك ٢/ ٣٦٣.

٨٠ الكليات: ٣٩٧، وينظر: الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة: ٤٧-٤٨، وجامع الدروس العربية: ٢/ ٢١٠، ٢١٨، والتطبيق النحوي: ٤٢١.

٨١ الموجز في قواعد اللغة العربية: ٣٨٩.

٨٢ معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، لعبد الغني الدقر : ٣٢٨.

٨٣ سورة الكهف، الآية: ٢٦.

٨٤ الدر المصون: ٧/ ٤٧.

٨٥ سورة مريم، الآية: ٣٨.

٨٦ الدر المصون: ٧/ ٦٠٢.

٨٧ مغني اللبيب: ١٤٤، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٢/ ٤٦٥، و٦٨/١٣، وإعراب القرآن وبيانه: ٥/ ٥٦٤.

٨٨ للفرزدق، في ديوانه: ٢/ ٢٩٠، ولسان العرب: ١٣/ ٣٧٠ (كنن) .

٨٩ مغني اللبيب: ٣٧٨.

٩٠ شرح التصريح على التوضيح: ١/ ٢٥٤.

٩١ خزانة الأدب: ٩/ ٢٢٠.

٩٢ حاشية الصبان: ١/ ٣٥٣.

٩٣ سورة هود، الآية: ١١١.

٩٤ الدر المصون: ٦/ ٤٠٠، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٠/ ٥٧٨.

٩٥ التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ٧١٦، وينظر: الكشاف: ٢/ ٤٣٢، ومفاتيح الغيب: ١٨/ ٤٠٥، ومدارك التنزيل:٢/ ٨٧.

٩٦ صحيح البخاري: ٨/ ١٠٦، (بَابٌ: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ. رقم الحديث: ٦٥٠٧)، وصحيح مسلم: ٤/ ٢٠٦٥، ( بَابُ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ. رقم الحديث: ٢٦٨٣) .

٩٧ فتح الباري:١١/ ٣٥٨، وينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٥/ ٢٩٠.

٩٨ تفسير الراغب الأصفهاني: ١/ ٥٧- ٥٨.

٩٩ تفسير الراغب الأصفهاني: ١/ ٥٨.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

١٠٠ همع الهوامع: ١/ ٥٢٤- ٥٢٥.

١٠١ الجدول في إعراب القرآن ٧/ ١٠٠.

## مصادر البحث ومراجعه:


- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: سنة ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤ م.
- أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، د فدوى محمد حسان، عالم الكتب الحديث- الأردن، ط١، ٢٠١١ م.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت٥٧٧هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت٣١٦هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة- بيروت.
- إعراب القرآن المنسوب خطأ الى الزجاج، علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأَصْفهاني الباقولي (ت نحو ٥٤٣هـ)، تحقيق ودراسة: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة ودار الكتب اللبنانية - بيروت - القاهرة، بيروت، ط٤، ١٤٢٠ هـ
- إعراب القرآن للنحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، ( دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ط٤، ١٤١٥ هـ
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط: ١، ١٤١٨ هـ .
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر— بيروت، ط:سنة ١٤٢٠ هـ
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط: ١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- التطبيق النحوي، الدكتور عبده الراجحي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط: ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، جزء ٢، ٣: تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار الوطن — الرياض، ط: ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، جزء ٤، ٥: تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، ط: ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن «تفسير الطبري»، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ)
- شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، صيدا — بيروت، ط٢٨، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨ هـ.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تح: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين — بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت٧٤٩هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، بهامش تفسير الكشاف، لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣) ، دار الكتاب العربي — بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، الخضري، تح: تركي فرحان المصطفى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت١٠٥٧هـ)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط٤، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ديوان جران العود النميري، صنعة أبي جعفر محمد بن حبيب، رواية السكري، تح: د. نوري حمودي القيسي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق، ط١، ١٩٨٢م. (عن : المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. اميل بديع يعقوب: ١٠/ ٢٨٤ ).

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

- ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – مصر، ١٩٧٧م. (عن: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. اميل بديع يعقوب، ٢/ ٤٢١).
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق:عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ .
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري – المتوفى في القرن ١٢)، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت٦٤٦هـ)، تح: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية – مكة، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- شرح المفصل لابن يعيش (ت٦٤٦ هـ)، تح: ابراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين- دمشق، ط١، ٢٠١٣.
- شرح شافية ابن الحاجب، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي، ركن الدين (ت٧١٥هـ)، تح: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م.
- شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (ت٦٨٦هـ)، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (ت٨٨٩هـ)، تح: نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٤م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط١١، ١٣٨٣هـ.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس الرازي (ت٣٩٥هـ)، تح: محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- بيروت، ١٤١٩ هـ.
- ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه (ت٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية – بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، العين.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩هـ.
- فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت١٢٥٢هـ)، د. حاتم صالح الضامن، دار الرائد العربي- بيروت ، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة،
- ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، د. ت، د.ط.
- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت٦١٦هـ)، تح: د. عبد الإله النبهان
- دار الفكر – دمشق، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت٧٧٥هـ)، تح:الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: ١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية – الكويت، د. ت، د.ط.
- مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (ت٢٩١هـ) [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]
- مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ .
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١هـ)، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٧هـ.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ)، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل «تفسير النسفي»، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ)، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب- بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.
- معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، تح: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة — مصر، ط١.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، عالم الكتب — بيروت، ط: ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، الأستاذ: عبد الغني الدقر، دار القلم- دمشق، ط١، ١٤٠٦- ١٩٨٦.
- المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. أميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار)، دار الدعوة- القاهرة، د.ط، د.ت.
- المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطَرِّزِيّ (ت٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر- دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
- مفاتيح الغيب «تفسير الرازي أو التفسير الكبير»، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي— بيروت، ط٣ ، ١٤٢٠ هـ.
- المفتاح في الصرف، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت٤٧١هـ)، تح: د. علي توفيق الحَمَد، مؤسسة الرسالة — بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١ ، ١٤١٢ هـ.
- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، تح: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال- بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب- بيروت.
- منحة الجليل بهامش شرح ابن عقيل، لمحيي الدين عبد الحميد.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

- المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث القديم، ط١، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت١٤١٧هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت٩٠٥هـ)، تح: عبد الكريم مجاهد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٦م.
- النحو الوافي، عباس حسن (ت١٣٩٨هـ)، دار المعارف- القاهرة، ط١٥.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر، د.ط، د.ت.